

بلا أجنحة

الجزء الثاني



بقلم
رضا محمود

بلا أجنحة

الجزء الثاني

بقلم

رضا محمود

مقدمة

خرج عصفور فاردا جناحيه ناظرا
 إلى إشراقة الشمس قادرا
 على تنفس الفرح والسرور
 وملاً عينيه من ألوان الحبور
 وخفق بجناحيه وضرب الهواء
 وحلق عاليا في السماء
 فأشعل الحقد ناره في عيون الغراب
 وتطاير شرر مقتله للسحاب
 كيف يغدو هذا العصفور جميلا
 لماذا يحلق في السماء سعيدا
 وتحت الشجرة ثعلب ماكر
 قال: ما أحلاه فطورا في الصباح الباكر
 ووقف ولد فوق سطح بيته
 متربصا متحفزا بقوسه
 وأطلق سهمه، أصاب وديعا
 فسقط على الأرض صريعا

مكسور الجناح مذعورا
وخلفه الغراب مسحورا
ينتف ريشه بسرور
لا يلتفت إلى أنينه المبتور
أقبل الغلام هاتفا يعدو
هيا دع لعبتي واغدُ
وثب الماكر بينهما ، هتف بحزم قاطع
احذروا واتقوا شر الجائع
إذا رأى لحما مائع
فما هو عنه بقانع
فاختلفوا من يأخذ المسكين
ثم اتفقوا أن يحضروا السكين

(1) الخطوة الأولى

خرج عصفور فاردا جناحيه ناظرا

إلى إشراقة الشمس قادرا

على تنفس الفرح والسرور

وملاً عينيه من ألوان الحبور

وخفق بجناحيه وضرب الهاء

وحلّق عاليًا في السماء

خرج هاني من بوابة كليته بوجه مشرق بابتسامة ثناها السعادة. فأتاه صوت شهاب مرحا:

- ترى ، ما سر هذه الابتسامة العذبة؟ أهي بسبب سهولة الامتحان؟ أم لأسباب أخرى؟

أقبل عليه هاني وابتسامته تزداد إشراقا وهو يقول:

- يا ذا الذراع الواحدة , العباقرة أمثالي لا يهتمون بمسألة الامتحانات هذه. فما هي إلا إجراءات لا بد منها.

عانقه شهاب بحرارة قائلا:

- يا عم المغرور قل يا ستّار. أنا لا أثق في نجاحك ونجاحي أصلا هذا الفصل الدراسي. ثم إن هذا اعتراف بوجود سبب آخر لهذه البسمة. وعلى فكرة، اسمي شهاب وليس ذي الذراع الواحدة.

سارا سويا في اتجاه موقف السيارات الأجرة وهاني يقول:

- أولا يا صاحبي ياذا الذراع الواحدة، الستار ليس من أسماء الله الحسنى. والصحيح السّتير. لقول النبي صلى الله عليه وسلم: (إن الله حيّ سّير.)

تصنع شهاب المثل قائلا:

- أولا وثانيا وثالثا.. يا عمي لقد انتهت الامتحانات وبدأت إجازة نصف العام. نريد هدنة.

وكزه هاني مستطردا كأنه لم يسمعه:

- ثانيا لن أكف عن مناداتك بذي الذراع الواحدة حتى تصبح بذراعين. ثالثا أنا جهبز في اللغة الفرنسية. ولكنك تجهل ذلك.

تأبط شهاب ذراعه قائلا:

- دعك من هذا . وخبرني بالسبب الحقيقي وراء هذه الابتسامة.

تبدلت نظرات هاني وملامحه. فانطلق بصره للفراغ منفصلا عن الوجود حوله. يرسم صورة لعيني رحمة مشرقتان من فتحة نقابها. وفرد الشوق أجنحته على ملامحه. فتراخت ملامحه هائلة بظلها. وسبحت روحه تدنو منها وشعور بالسعادة ينمو كلما اقتربت. و

- أنت تحبها بحق. لم أر من قبل شخصا غارقا في الحب مثلك. بل لم أتخيل حتى وجوده.

انتبه هاني فعادت ملامحه لطبيعتها تزينها ابتسامة مرحة وقال بأسلوب خالطه حزن قلق:

- والله يا صديقي لا أدري أهو حب أم لا . أخشى

قال شهاب وهو يجذبه إلى السيارة التي توقفت بالقرب منهما:

- لا تخش شيئاً يا صديقي. وتقدم. خذ خطوة ولا تتردد. هذه فرصة عمرك. هذه المرأة مثالية. حتى وإن لم يكن حبا. وأنا متأكد أنك غارق في حبها حتى النخاع وهي كذلك .

ركبا السيارة صامتين وما أن استقرا في مقعديهما حتى استطرد شهاب:

- على الرغم من صغر عمر علاقتكما. إلا أنها تكبر بسرعة كبيرة.

صمتا قليلا وهاني يفكر في الأمر فعلا. هل يطرق بابها . أم يتراجع؟ هل حقا يحبها؟ أم هو انبهار مؤقت ؟

أدرك شهاب أنه يحاول اتخاذ قراره. فاسترخى في مقعده. وأطلق بصره من النافذة يراقب الطريق . وعقله يتردد بين التفاؤل والتشاؤم. ماذا تحمل له الأيام القادمة ؟ لقد استقرت المياه. ولكن قنابل مجهولة مازالت في القاع. فجابر صامت ولكن ينتظر. ورحمة نسيت تهديده تماما ، فطالما هاني بالقرب منها ، تخفي الدنيا بأسرها من أمامها. ولكنه لم ينس . ويتوقع الغدر في أية لحظة .

وصلت السيارة إلى محطتهم بالقرب من بيت هاني. فترجلا منها و شهاب يقول:

- أتمنى أن تكون حسمت أمرك .

ابتسم هاني قائلا:

- يا حبيبي لو كنت أسلق بيضة، ما كانت لتستوي بعد.

تحركا في اتجاه البيت وشهاب يقول:

- أنا لا أحب التفكير طويلا. أحب أن أتخذ قراراتي بسرعة.

- لسنا في عجلة من أمرنا. لم يمر إلا شهر من عدتها. وأنا مازال أمامي فصل دراسي كامل. فلما أتعجل.

تأبط شهاب ذراع هاني قائلاً:

- لسبب بسيط يا صديقي. أن الغراب يتربص بعصفورك. ولم يعلم بعد بوجودك ولو علم.... فسيشعل النار فيك وفيها وكل من يدنو منكما.

وضع هاني راحته اليسرى على قبضة شهاب اليسرى المتعلقة بذراعه الأيمن قائلاً بيقين:

- ولكنك معي . ولن تتخل عني. أليس كذلك يا صديقي.

- ولكني بذراع واحدة.

كان يتوقع دعاية من هاني كعادته. ولكن أنامل هاني قبضت على راحته بقوة. فالتفت إليه متحفظاً. فوجده ينظر إلى بيته الذي ظهر من بعيد. فأعاد بصره إلى بيت هاني وهو يسأله بفرع:

- ماذا حدث يا هاني؟

تحرك بصره لكل ما يقرب من بيت هاني والأخير يقول:

- رحمة.

قال شهاب وقد تحفزت كل عضلاته وهو يفحص كل ماحوله بقلق شديد:

- ماذا حدث يا هاني ؟ أخبرني.

ربت هاني على يده مهدئاً:

- لا شيء يا صديقي. لا شيء.

نظر إليه شهاب فلما رأى ملامحه فطن لما يعتريه فتنهد بارتياح وهاني يتابع:

- إنها هنا فقط. لقد ثار نبض قلبي معلنا قربها منه. وفرد جناحيه يحلق يريد أن يطير إليها.

انتزع شهاب يده من يد هاني هاتفا:

- لقد أفرعتني يافتي.

ابتسم هاني بخجل ونظر للأرض. فقال شهاب بمرح:

- لقد مللت من هذا . سأخبرها بذلك إذاً. بل سأخطبها لك.

رفع هاني عينيه إلى شهاب بدهشة. فوجد العناد برّاقاً في ملامحه . فقال بتحد
وحزم :

- شهاب إياك أن

تراجع شهاب مبتعداً مبتسماً وهو يهتف بتحدٍ :

- تهدد شهاب نصر الدين! لقد تبجحت كثيراً يافتي. فلننظر ماذا يمكنك أن
تفعل.

قالها وانطلق يعدو إلى البيت. وانطلق هاني خلفه صائحاً محذراً.

ثم توقف بعد خطوات قليلة . ربما بسبب ارتفاع معدلات نبضه وقوتها كلما
اقترب من البيت أكثر. ربما لالتفات جيرانه له وهو يعدو خلف شهاب, فأحس
بالحرج. وربما لأنه واثق أن شهاب لن يجرؤ على إخبارها. فهو أكثر حياءً
من أن يفعل. ألقى السلام على والدته في محلها الصغير وسألها عن حالها
وشعور بالارتباك يسري في كلماته. نشأ عن إحساس بأن أعصابه صارت
سائلاً بارداً، ما عاد يستطيع السيطرة عليها. قالت أمه بجمود:

- السيدة رحمة وأبوها وابنتها بالأعلى في انتظارك.

ابتسم هاني ابتسامة خفيفة خجلة وهو يسألها:

- هل ضايقتك شيءٌ ما يا أماه؟

تظاهرت بأنها ترتب علب البسكويت على المكتب أمامها وهي تقول بضيق واضح هذه المرة:

- كلا يا هاني. ما من شيء يضايقتي.

نظر إليها صامتًا حتى رفعت عينيها إليه فقال باسمًا:

- يضايقتك عملي مع السيدة رحمة؟

- ليس عمك ما يضايقتي. فهذه فرصة لا يمكن رفضها. ولن تتكرر مجددًا. ولكن

أكمل هاني كلامها:

- ولكن تخشين أن أحبها وأتزوجها. أليس كذلك؟

تطلعت إليه لحظات في صمت لا تدري ما تقول. وإن أفصحت عيناها عن إجابتها. فأجاب هو :

- أنا أحبها يا أمي فعلا. لقد قاومت هذا ولكنه أقوى مني . ولا أظن أنني قد أدوق طعم السعادة إذا ابتعدت عنها. ولكن رضاك علي أهم عندي. إذا أردتي أن أتركها الآن سوف أصعد وأعتذر لها. وأنهى كل شيء. وإن ...

دخلت امرأة المحل ملقبة السلام . فردًا عليها. وقطع هاني حديثه . ثم تحرك يحضر للمرأة ما طلبت . وانتظر حتى حاسبت والدته وقلبه يغلي من الترقب. تشتعل فيه ثورة من الخوف. يعلم أن الكلمة التي ستخرج من فيه الآن هي مصيره. لقد زارتهم رحمة مرتين بعد أن غادر المستشفى. كانت المدة بينهما نوم على جمر. لا يهدأ من حرارته إلا أمل اللقاء. فكيف إذا مات اللقاء. ما سيخفف هذه النار.

غادرت المرأة . وصمتت أم هاني لحظات تعابث علب البسكويت أمامها وهو صامت بدوره يخشى أن يتعجلها فتصدمه. وأخيرا رفعت بصرها بدمعة صغيرة قائلة:

- ولكنها أرملة . وأكبر منك بكثير.

تجمعت دمعة في عين هاني وهم بقول شيءٍ ما. والحزن ينصب خيامه على وجهه. فأوقفت أمه هذا الزحف هامسة:

- ولكن.... مادمت ترى سعادتك معها. فلن أقف أبدا أمام سعادتك.

جذبها هاني واحتضنها بحرارة وقبل جبهتها ثم يدها قائلا:

- ربنا ما يحرمك مني أبدا يا أم هاني. وأدخل السعادة على قلبك ما حييت.

قالها وأسرع يصعد السلم عدواً بنفاد صبر. حتى وصل أخيرا إلى شقته المفتوح بابها . تجاوز الباب ولقلبه دوي مسموع . وعيناه تبحثان عنها. وجد الشيخ عمار وشهاب وعلاء جالسين في حجرة الجلوس. والصالة خالية.

التقط أنفاسه لحظات ثم دخل الحجرة. صافح الشيخ عمار بحرارة وشهاب يقول بمرح:

- هذه ابتسامة جديدة. ياله من يوم سعيد!

جلسوا جميعا عدا علاء الذي استأذن منصرفا. ثم سألهما الشيخ عمار بصوته الرزين الهادئ:

- كيف أديتما في الامتحانات؟

أجابه شهاب :

- يكفيني شرفاً أن أنجح هذا العام. أما الأستاذ الجهيز هاني. فإن شاء الله من الأوائل.

قال هاني مكملًا:

- كعادتي.

ثم اعتدل واقفًا قائلاً باعتذار:

- أستاذنك شيخي أتوضأ وأصلي الظهر. فقد أذن أثناء الامتحان.

قال شهاب :

- أنا صليت في مسجد الكلية. فقد أنهيت امتحاني قبل الصلاة.

خرج هاني وعيناه تجوبان الأركان تبحث عن قلبه الذي وثب من بين ضلوع صدره .

طالعه وجه منار مبتسما. فنظر إليها بشغف. يمنعه الحرج أن يسألها عن رحمة. يبحث في ملامحها عن لمحة تهدئ تأجج نار شوقه. فاتسعت ابتسامتها ولمعت بهجة وهي وتهمس بمرح:

- هل تبحث عن أحد؟

ارتبك هاني وهو يحاول أن يبحث عن كلمات بعيدة عن الكذب لا تؤكد ما أفصحت عنه ملامحه. فقالت منار:

- إنها ليست هنا.

شعر بالتحفظ يرتفع حتى بلغ لسانه فقال:

- من هي ؟

اقتربت منه وهي تحمل صينية الشاي:

- رحمة.

تظاهر بعدم الاهتمام وهو يقول:

- وما الجديد في هذا؟ أنا أعلم أنها هنا. لدينا موعد عمل . فلدينا بعض
ال-.....

- السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أتاه صوتها مع ظهورها يستلته من عالمه إلى عالم آخر. هذه الرقة تفوق
احتمال البشر. تتخطى حدود السحر . فاتنة على الرغم من غياب الجسد.
تجمد في مكانه كما تجمد لسانه. مقاتلا أطرافه ألا تنقض عليها وتحتويها
بينها تروي ظمأها. لم يستطع مقاومة الغرق في عينيها هذه المرة. كلما
اجتمع معها بعد فرقة ، كلما ازداد ضعفا في مقاومة إحساسه بها.

ردَّ عليها السلام هامسًا. دنت منه وعاصفة من الشوق تدفعها أن تلقي نفسها
بين ذراعيه وتنسى نفسها ودنياها. ما يقيدها إلا خوفها من الله سبحانه
وتعالى. خفضت عيناها لما شعرت بقواها تخور. وقالت بصوت هامس رغما
عنها:

- كيف حالك؟

اقترب منها هاني وهو يقول بشوق له بريق في صوته:

- الحمد لله. وأنت؟

- في فضل من الله ونعمة. ماذا فعلت في امتحان اليوم؟

- الحمد لله . لقد كان الامتحان سهلا بفضل الله. ورزقتني حسن الإجابة.

وقفا متقاربين تفصلهما خطوات قليلة. ظن كلاهما أنها صحراء شاسعة.
كلاهما يقاوم فكرة الاقتراب أكثر . قالت بصوتها الهادئ الرقيق وكأنه همس
عصفورة:

- تستحق هديتي إذن.

أشرق وجهه بابتسامة سعادة قائلا:

- حقا؟!!

تحركت إلى حقيبتها الموضوعه على أريكة في الصالة التي يقفون فيها وهي تقول:

- بلى . أتمنى أن تعجبك.

تطلع إليها وهي تخرج الهدية من حقيبتها، وانبهاره بها يتعاضم. الرقة تتماوج فوق خطوط جسدها وكأنها هالة سحرية. رج رأسه مستعيداً بالله من الشيطان الرجيم. وخفض بصره وشعور بالذنب يطفو وسط مشاعره. أقبلت إليه وفي يدها هاتف محمول. قدمته له قائلة بصوت مرح:

- هذا لك . لقد صرت تعمل عندي الآن . ومن حقي أن أتصل بك في أي وقت. وأطلب ما أشاء.

مد يده يلتقطه وإن تعلق إحساسه بلمس أناملها وهو يلتقطه . ولكن منار التي أدخلت الشاي للشيخ عمار وشهاب كانت الأسرع. إنقطته بسرعة ومرح طفولي:

- أحقا هو هاتف محمول؟! أخيرا تحقق حلمي، وأمسكت واحدا بيدي.

التقطه هاني من يديها قائلا:

- إن حصلتِ على مجوع تلتحقين به بكلية الطب، أهديتك واحدا.

تأمله هاني بامتنان وحب هامسا.

- لا أدري حقا كيف أشكرك. ولا كيف سأستطيع رد ما تقدميه لي.

- بعد أن انتهى من تسديد ديوني لك وأدينك، سأخبرك كيف تستطيع الرد.

لم يستطع منع عينيه من الصعود إلى عينيها والغوص في بحورهما الزيتونية ذات الشوطى شاهقة الأشجار. تلاشى الوجود من حوله وملأت النشوة كل جوارحه.

- يؤسفني أن أقطع هذه اللحظة الجميلة. ولكني تأخرت على درسي.

انتزعتها جملة هدير بقسوة . فاحمر وجه رحمة وهي تتراجع إذ كانت قريبة جدا من هاني وشعرت بحرج مَن ضُبطَ متلبسا بخطأ. فخفضت رأسها تنظر للأرض.

التفت هاني إلى هدير بثبات وابتسامة واسعة قائلا بمرح:

- أخيرا ظهر القمر. كيف حالك يا صغيرتي؟

صدمته نظرتها النارية التي اشتعل فيها البغض. والشراسة التي أحالت عينيها عيني وحش مفترس. كانت واقفة على باب حجرة منار التي كانت رحمة تبني فيها في الأيام القليلة التي مكثتها في هذا البيت . عاقدة ساعديها أمام صدرها معتمدة بكتفها على حافة إطار الباب المفتوح، في جراءة غريبة . لم يعتدها كذلك . ورثت من أمها رقتها وطبائعها، ومن أبيها الشكل الخارجي. وهذه الشراسة والجرأة المفرطة طبائع غريبة عليها. ضاقت عيناه وكأنه يحاول اختراق عينيها إلى عقلها.

قالت بغیظ واضح انقبض له قلب رحمة وأثار دهشة هاني أكثر:

- لقد طالوت وفتكم وأنا عندي درس.

أجابها هاني مخفيا دهشته وكأنه لم يفتن لغيظها:

- ما من مشكلة يا صغيرتي . شهاب ينتظرك في

قاطعته:

- أريدك أنت أن تأتي معي.

ضاقت عيناه أكثر وهو يسألها محاولا سبر أغوارها:

- لماذا؟ شهاب هو حارسك الشخصي وأنا سأدير أعمالكما. ولدينا اليوم إجراءات قانونية بهذا الصدد. كالتوكيل و توثيقه في الشهر العقاري و اعتماد التوقيع. وحضور اجتماع مجلس إدارة شركة المملكة.

صمتت هدير لحظات وهي تنظر في عينيه بتحد وجرأة متجاهلة أمها و منار. ثم قالت :

- ومن فرض ذلك؟ ليس معك شهادة إدارة أعمال. و شهاب ليس معه شهادة حراسة خاصة. فلنبدل الأدوار إذن.

اقترب هاني منها ناظرا إليها بتحد هو الآخر مما أخافها فارتبكت واعتذلت في وقفها، وإن ظلت تتشابه بعينيها مع عينيه في معركة تحد. قال لها بصوت شديد الهدوء والثبات:

- وما الداع للتغيير؟ لو أبديت لي سببا منطقيا لغيرنا الوظائف في الحال. صمت ينتظر ردها وصمتت هي أيضا وقد أرتجها السؤال. وخفضت بصرها. مال نحوها وهو يقول بنفس هدوئه:

- أنا لا أصلح للدفاع عن أحد شهاب أصلح مني. فلتهدئي يا صغيرتي. ولتثقي في شهاب. و إن كنت تريدين رفقتي ، فلا بأس في يوم آخر.

ثم التفت إلى رحمة و منار قائلا وهو يضع الهاتف في جيبه:

- أستأذن لصلاة الظهر فلقد تأخرنا كثيرا.

تابعت هدير بنظرها وشرر مقت غريب تتواهب من عينيها وسط نظرات منار ورحمة المذهولتين. أما هدير فكان ذلك الشيطان بداخلها يسيطر على كل حواسها. منذ فقدت وعيها عندما سقط عليها وجسمه يلفظ أنفاسه الأخيرة، وانتقل مع دمائه المتناثرة إليها وهو الذي يفرض وجوده وسيطرته على

جسدها . ظل لفترة طويلة سجين غيبوبتها التي ترفض الاستيقاظ منها حتى استطاع أن يبني لها قصرا من الأحلام فهدأت روحها فتمكن من إيقاظ الجسد وأحكم سيطرته. وبدأ رحلة انتقامه من قاتله. ولكن مازال يعد خطته . لم يستقر على واحدة بعد. انتبه لنظرات رحمة و منار فأسدل ذراعي هدير راسما ابتسامة حرج على شفثيها.



اشتعلت عيون نادر الزرقاء بنار الغضب، فصارت كألسنة لهب زرقاء ، وهو يواجه أباه في حجرة مكتبه في المبنى الإداري في مركز مدينة المملكة. قال بغضب وحسم بصوت حاول جعله هادئا:

- آسف يا والدي . لن أعيد له شيئا لقد اشتريت أسهمه وقبض ثمنها.

هب والده واقفاً وهو يصيح بأعلى صوته:

- ستعيده يا نادر. هل ستخالف أمري؟

عقد نادر حاجبيه حتى كادا يمتزجان غضبا وتفكيراً. ثم نهض واقفا وهو يقول بصرامة:

- لقد أجبرتنني على اتمام زواجي من أماني. ولكن هذه المرة لا يمكنني أن

أطيعك. لقد اشتريت أسهم المهندس حامد في المملكة من حر مالي و

أصبح لي فيها مثلك تماما. إذا أردت أن تبقى علاقتنا كما هي

فساعدني . وإلا

ولاه والده ظهرة مخفيا الحسرة التي رسمت ملامحها على صفحة وجهه .

يحاول الصمود أمام أمام أحلامه التي تنهار في داخله . يقاوم السقوط محاولا

إجبار ساقيه على الصمود . وألقى بصره عبر النافذة الزجاجية التي تحتل

جدارا كاملا إلى مباني المملكة الرخامية اللامعة تحت أشعة الشمس. وكأنها

مصنوعة من لؤلؤ. وقال بحسرة شديدة أخفاها خلف أسوار صلابته:

- تهددني يانادر.

لم يرد عليه نادر مقرا بقوله. فتابع عبد الله بصوت هادئ ملأه الغضب دون أن يواجهه:

- اسمعني جيدا يا أستاذ نادر. أسلوب اليهود هذا لا يروقني ولا أقبل به. أن تورط الرجل في علاقة جنسية وتهده وتسرقة منه مال الشركة. ثم تخيره بين أن يبيعك أسهمه. أو خسارة كل شيء والسجن والفضيحة. هل هذا أسلوب رجل أعمال أم زعيم عصابة؟

- أنا لم أسرق شيئا.

التفت اليه بحدة صائحا بثورة:

- بل فعلت. اخذع من شئت إلا أنا. لا يعرف مكان الخزينة وأرقامها السرية ولا كل الإجراءات الأمنية حولها إلا الشركاء الأربعة وسيادتك. وكلمتي الأخيرة، إن لم تُعد ماسلبته. وتعيد للرجل أسهمه والشريط الذي تهدده به فسوف.....

ابتسم نادر بتهكم قائلا:

- سوف ماذا؟

هوى بقبضته على سطح مكتبه صارخا ببركان غضب يتفجر في صدره وعبر صوته:

- سأدمرك.

اتسعت ابتسامته ثقة ولا مبالاة على وجه نادر.

وقال وهو ينصرف:

- أشك في قدرتك على هذا.

قالها وخرج بلا تردد من مكتب أبيه. استقل المصعد إلى مكتبه الجديد في الطابق الأعلى الذي كان منذ أيام قليلة مكتب المهندس حامد.

كانت سكرتيرته ترتب في المكتب تزيين أحد الجدران. ولج من الباب المفتوح دون استئذان. شعرت بولوجه فاستدارت إليه. قال بشرود:

- أحسنت يا منال. عمل رائع.

نقل بصره إلى كل ركن في المكتب وهو يتابع:

- لقد غيرت شكل المكتب تماما.

سألته وهو يجلس إلى مكتبه بسعادة وغرور:

- هل أعجبك يا سيدي؟

اعتدل في مقعده فاردا ذراعيه على مكتبه بعظمة قائلا بزهو:

- كل ما تفعله يعجبني يا منال.

اقتربت من المكتب وهي تقول متطلعة إليه بإعجاب كبير:

- أتمنى أن أكون عند حسن ظنك دوما يا سيدي.

XXXXXXXXXXXX

وقف شهاب إلى جوار هدير أسفل بيت هاني على جانب الشارع وسألها:

- إلى أين سنذهب إن شاء الله. أين درسك الأول؟

شعر أنها لم تسمعه. لم تبد أي رد فعل. ونقابها يخفي تعبيرات وجهها. فقط تخفض وجهها تقابل الطريق. كان سام بداخلها يفكر من أين يبدأ هجومه على هاني. هو الآن يختفي داخل هدير. لا يريد أن يظهر. أفضل شيء أن يقاتل هاني وهو خفي فتأتيه الضربة من حيث لا يعرف. ولكن جسم هدير ضعيف،

لا يصلح في مواجهة حاسمة لو انكشف أمره. كما أنها ليست مقربة لهاني
بدرجة كافية تمكنه منه. فماذا يفعل؟

كاد شهاب يكرر سؤاله. لولا أن التفتت إليه بجسدها كله. ورفعت عينيها إليه
بثبات لم يعهده فيها قائلة بصوت رقيق أقرب إلى الهمس:

- ما رأيك أنت؟

بدت الحيرة في عينيه وهو يسألها:

- ما رأيي في ماذا؟!؟

لم تبعد عينيها عن عينيه واقتربت منه خطوة وهي تقول:

- أين تريدنا أن نذهب؟

ارتبك شهاب وتراجع خطوة إلى الخلف. وأعاد خصلات شعره الطويل التي
تناثرت بفعل الرياح مصففا إياه بيده قائلاً بارتباك ودهشه:

- وما دخلي أنا في هذا. من المفترض أنك مرتبطة بمواعيد مع مدرسين
وزميلات لك. فما دخلي أنا ب.....

قاطعته وقد تحول صوتها إلى ضيق شديد:

- لن أحضر أي دروس. لقد مللت من هذا كله. لقد مللت من حياتي كلها.

قالتها وبكت بصوت خافت ولكنه وصل لأذني شهاب. الذي وقف عاجزاً عن
التفوه. يعلم أنها مرت بظروف صعبة. مشاكل والديها. ثم مقتل أبيها ثم موت
حبيبها. ثم مرضها الذي أعقب ذلك ولم تتعافى منه إلا من أسبوع واحد. لم
يعرف ما يدور بداخل عقل سام الذي يتحكم في جسدها. لم يعرف أن أول
خطوة في خطته تُرسم ملامحها الآن. وأنه قد حدد هدفه:

- اهدهني يا آنسة هدير. لا تبكي هكذا. أخبريني فقط ما تريدين.

نظرت في عينيه بفرحة وقالت بتوسل:

- أريد أن أمشي أستنشق بعض الهواء. أريد أن أبوح بما في صدري
ويخنقني حتى الموت. هل هذا صعب عليك؟

بدت الحيرة في ملامحه وصوته المرتبك وهو يقول:

- ولكن السيدة رحمة ... ألن تغضب إذا علمت.....

أمسكت يده واحتضنتها بين راحتيها قائلة بتوسل ودلال وسام يتخذ قرارة
بشأن الخطوة الأولى:

- أرجوك يا شهاب. لا تحرمني من يوم أحطم فيه القيود التي التفت حول
عنقي وتكاد تقتلني.

اكتسحت موجة حارة جسد شهاب شغراً كأنها تنبعث من كل خلية في جسده ،
شعر بدمائه تغلي من جرّائها. واحمر وجهه بشده. هذه أول مرة تمسك يد
أنثى غير أمه و أخواته يده. و فجأة ودون مقدمات. ومن أبعد فتاة عن ذلك.
كان يرى هدير هذه كزهرة رقيقة بريئة حزينة. هل أثر فيها ما مرت به في
الآونة الأخيرة لهذه الدرجة؟ هل أصابها بخلل في عقلها، وعدم اتزان في
مشاعرها إلى هذه الدرجة؟ حاول سحب يده برفق وهو يتلفت حوله في
ارتباك. خوفاً من ظهور هاني ورحمة والشيخ عمار. وجد مدخل العمارة
خالي فنظر إلى محل والدة هاني . واطمأن لَمَّا لم يرها. ولكن هدير تشبثت
بيده أكثر وهي تقول بتوسل:

- أرجوك يا شهاب.

قال بارتباك وقد بدأ يتفصد عرقاً رغم برودة يناير:

- حسنا حسنا يا هدير. ولكن هذا اليوم فقط. بعد ذلك تنتظمين في دروسك.

بدت ابتسامة نصر في عينيها و هي تسمح ليده بالفرار من بين أناملها.

قال وهو يلتقط أنفاسه:

- إذن أين سنذهب؟

صمتت قليلا تفكر ثم قالت وقد عادت الرقة والدلال إلى صوتها:

- ما رأيك؟ نذهب إلى شاطئ النيل كبدائية؟

أشار شهاب على الفور لسيارة أجرة وقال لها بسرعة والسيارة تتوقف بجوارهما:

- هيا إذن.

استقل السيارة بسرعة وكأنه يخشى أن يراه أحد وهو يركب معها ناسيا أن هذا عمله.

قالت بامتنان شديد والسيارة تنطلق بهما:

- لا أدري كيف أشكرك يا شهاب.

عصفت الخواطر بذهن شهاب. مالذي ترمي إليه هدير وبما تفكر؟ أسلوبها في الكلام. اقتربا منها أكثر من الطبيعي وعلى خلاف طبيعتها. بل وتجرات وأمسكت يده و

أمسكت يده من جديد. فجذب يده مجفلا. ثم التقط أنفاسه وقال بحرج:

- أنا آسف يا هدير. ولكن أقصد هل يمكنك أن ماذا بك؟!!

استرخت في مقعدها. وأرخت رأسها على مسند مقعدها. قائلة بشرود:

- أنا حظي في الدنيا قليل. لقد رزقني الله بأب وأم كلاهما أسوأ من الآخر.

تطلع إليها بدهشة. استشعر حبها لأما منذ عرفهما. واليوم تتكلم بضيق منها. تأمل حدود جسدها ووجهها خلف ملابسها الثقيلة ونقابها. لولا أنه أخذها من أمها. لأقسم أنها فتاة أخرى غير هدير.

راحت تشكو من سوء خلق أمها ومعاملتها السيئة لها ولأبيها. وتسرد مواقف وحكايات وهو ينصت لها بدهشة وحيرة. كلامها كله منطقي ولكن يخالف ما استشعره ورآه. وكذلك كلام هاني عن رحمة.

توقفت السيارة ونزل شهاب أولاً. مدت يدها ليساعدها على النزول. تردد شهاب يشعر بأن هذا خطأ كبير. ولكن يدها الممتدة ونظرة عينيها طعنا تردده في مقتل. فالتقط يدها وصورته في بدلة زفاف وهي في فستان فرح ويلتقط يدها يساعدها في الخروج من السيارة تعابث مخيلته.

جلسا على مقعد رخامي مواجهان للنيل وخيم عليهما الصمت عدة دقائق مرت على شهاب كدهر. منحبس الأنفاس. قلبه ينبض بأقصى قوته. يتساءل في حيرة طفل تائه في مدينة كبيرة: ماذا أصابها فجأة؟ لماذا تفعل معه ذلك؟ فكر أن يسألها ولكن حرجه وارتبائه أجماه.

توجهت إليه بجسدها كله. وقالت بصوت هامس :

- شهاب هل أنت مرتبط؟

نظر إليها ببلاهة. ستعترف بحبها له بلا شك. هذا ليس له تفسير آخر. صمت ولم يرد عليها. فقالت بمرح :

- سؤال صعب ؟

ابتسم بشحوب وحاول أن يقول شيئاً ما ، فانحبت الكلمات في حلقه.

رفعت يدها وأمسكت بطرف نقابها. لم يفكر فيما ستفعله. ظنها حركة بديهية. ولكنها فجرت قنبلة الذهول الأخيرة في وجهه.

رفعت نقابها كاشفة عن وجهها قائلة بهمس :

- أنا أحبك يا شهاب.

ЖЖЖЖЖЖЖЖЖЖ

التقط جابر الصور التي قدمها سكرتيره له . وراح يقلب فيها وهو يقول بغیظ واضح:

- أخبرني بكل خطوة خطتها هذه المرأة وابنتها اليوم.

اعتدل الرجل في وقفته قائلاً:

لقد خرجت هدير بصحبة ذلك الشاب ذو الذراع الواحدة . جلسا على شاطئ النيل لثلاث ساعات بعد أن كشفت له وجهها. ثم قاما فمشيا لمدة ساعة كاملة وهي تتأبط ذراعه. بعد أن خمرت وجهها بنقابها من جديد. ثم دخلا مطعمًا. وتناولوا غداءً باهظ الثمن حاسبت هي عليه . ولدى سيادتكم صورهما عن قرب ، لقد جلست على مائدة قريبة. وكما ترى هي تكشف وجهها. ثم دخلا السينما. ومازالا هناك.

تأرجح جابر في مقعده بهدوء والنار تغلي في قلبه وجسده كله ، حتى بدت السنة لهبها في عينيه وهو يقول بغضب وشراسة وإن حاول جعل صوته هادئاً:

- والسيدة المصونة والدتها؟

- خرجت بصحبة شاب آخر هو صاحب البيت الذي كانوا جميعاً فيه. وكان معهم شيخ كبير انفصل عنهما. وانطلقا بسيارة أجرة إلى المحامي. ومن عنده للشهر العقاري لتوثيق توكيل عام بالتصرف في كل ممتلكاتها . ثم للبنك لاعتماد توقيعه. ثم سحبوا مبلغاً ضخماً اشترى به سيارة.

كور جابر الصور وألقاها بكل قوته وقام يدور حول نفسه في مكتبه ويصيح :

- هذه الحقيرة. تلقي مالي ومال أخي لهذا التافه ، وتستمتع بحياتها قبل حتى أن تكتمل عدتها. وكأنها سعدت بموته. وابنتها مثلها كأنهما خرجا إلى الدنيا فجأة.

ضرب الجدار بقبضته وهو يستطرد:

- سأريك أيتها الحقيرة. ولن يكون إلا ما أريده أنا. أحضر لي فريد فوراً.

لابد من ضربة خفيفة، تفيق هذه العصافير من حلمها الجميل.

التفت إلى رَجُلِه من جديد قائلاً بغل:

- أين رحمة وصاحبها الآن. وقل لي هل كشفت له وجهها أو تلامست

أيديهما كالأخران.

- كلا يا سيدي. لم يتلامسا مطلقاً ولم تكشف وجهها. وهما الآن في

الطريق لمدينة المملكة ويبدو أنها تعلمه قيادة السيارة.

عاد جابر إلى مقعده و دماؤه تغلي في عروقه ويقول والشرر يتناثر من فمه وعينيه مع حروفه:

- أحضر لي فريد بسرعة يا حيوان . ألم أطلب منك ذلك. هيا.

انتفض الرجل خارجاً وهو يقول بخوف:

- أمرك يا سيدي. ثواني ويكون هنا.

ЖЖЖЖЖЖЖЖЖ

(2) حلم جميل

خرج عصفور فاردًا جناحيه ناظرًا

إلى إشراقه الشمس قادرًا

على تنفس الفرح والسرور

وملاً عينيه من ألوان الحبور

وخفق بجناحيه وضرب الهواء

وحلق عاليًا في السماء

- كأنه حلم جميل. لا أريد أن أستيقظ منه أبدا.

ابتسم هاني وهو يقود السيارة بسرعة بطيئة على الطريق الصحراوي المؤدي إلى المملكة. واختلس نظرة سريعة إلى رحمة الجالسة إلى جواره، ثم عاد ينظر إلى الطريق أمامه قائلاً:

- إن شاء الله لن ينتهي لأنه حقيقة وليس حلماً.

تطلعت إليه بكيانها كله وهو يقود السيارة بانبحار شديد. ولم تنتبه أنه أوقف السيارة إلا عندما استدار إليها بجذعه قائلاً:

- لقد تكلمت مع الشيخ عمار ووالدتي.

عقدت حاجبها في حيرة وهي تستبعد أن يقصد ما تتمناه فسألته بشغف:

- فيما؟

نظر إلى عينيها بابتسامة واسعة. وصمت لحظات. حتى كادت تصرخ من شدة نبضات قلبها. قال:

- في زواجنا.

دارت بها الدنيا. تصاعدت الدماء إلى رأسها . حتى كادت تفقد الوعي من شدة السعادة. وارتبكت وأنفاسها تتلاحق. في حين تابع هو:

- والدتي وافقت. والشيخ لم يرفض ولم يقبل، و أخبرني أنه لا يجوز عقد النكاح أو الوعد به إلا بعد انتهاء فترة العدة ولكني فهمت أنه لا يمانع . ولكن يمنعه من الموافقة الصريحة قول الله عز وجل:

وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ، مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ، عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ، وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ



- فما رأيك أنت ؟

حاولت رحمة أن تتكلم ولكن سعادتها كانت أكبر من أن تسمح لها بالكلام. احتبست الكلمات في حلقها وفاضت عيناها بالدموع. فقال هاني بإشفاق محب:

- سيدتي ما الذي يبكيك؟ أطلب منك الزواج فتبكين !

قاومت مشاعرها وأجبرت أحبالها الصوتية أن تتحرك:

- ظننت يوماً أن قدرتي التعاسة. وعندما بلغ مني اليأس مبلغه. وظننت أنها النهاية. أشرقت أنت على حياتي فانقشع البؤس وتبدد الحزن. وشعرتُ بأني ولدت من جديد. وابتسمت الدنيا كلها لي. وكل يوم امتداد لحلمي الجميل الذي لا أريد الاستيقاظ منه أبداً.
- اعتدل هاني في مقعده وهو يحاول تشغيل السيارة قائلاً:
- أعتبر هذه موافقة؟
- جففت دموعها بأناملها التي يغطيها قفازها الرقيق:
- قبل أن تعتبرها موافقة، أجبني على هذا السؤال.
- بدأ التحرك بالسيارة ببطء شديد قائلاً:
- سليني ما تشائين؟
- صمتت قليلاً تستجمع شجاعته ثم قالت بصوت خفيض وصل لأذنيه بالكاد:
- لماذا؟ واصلتني القول.
- نظر إليها نظرة سريعة. ثم أعاد بصره للطريق قائلاً:
- لأنني أحبك.
- رفعت عينيها إليه سائلة:
- ولكن أنا أكبرك بعشرة أعوام على الأقل.
- نظر إلى عينيها قائلاً بابتسامة مازحاً:
- وماذا أفعل إذاً قلبك الغبي الذي أوقعني في حبك حتى صرت لا أرى غيرك على هذا الكوكب.. كأنه خلا من النساء إلا أنت.

انحرفت منه السيارة دون أن يشعر. انتفض كلاهما مع ارتطام إطار السيارة بالإفريز . انحرف هاني بالسيارة لليسار ليعود للطريق فكانت انعطافة شديدة فارتفع بوق السيارة القادمة من الخلف . وانحرف قائدها لليسار بدوره ليتفادى الاصطدام بسيارة هاني.

توقفت السيارتان وهدأ كل شيء إلا الغبار المتطاير وصوت الرياح المحملة برممال الصحراء. ترجل قائد السيارة مغضبا . واندفع نحو سيارة هاني ورحمة التي تجمدت برعب. أسرع هاني بالترجل من سيارته وأسرع يقول وقد لمح أمواج الغضب عاتية على وجه الشاب:

- أنا آسف جدا يا أخي. ومستعد لتعويضك عن أي خسارة أو تلف قد لحق بسيارتك.

كاد الرجل يصرخ في وجه هاني وهو يتوقف أمامه ولكن هاني لم يمهله فرفع صوته قائلا:

- فهذه السيدة رحمة أحد الشركاء في المملكة وأنا مدير أعمالها.

كظم الشاب غيظه . وزفر في حنق وسيطر على أعصابه قائلا:

- وهل هذا يعطيق الحق في أن تلعب في الطريق هكذا ؟ لقد كدت تقتلنا. اعتذر هاني ثانية :

- أنا آسف مرة أخرى. لقد رأيت الطريق خاليا، فكننت أتعلم قيادة السيارة. فهذه أول مرة أقود سيارة في حياتي. فاعذرنى.

ابتسم الشاب ابتسامة خفيفة قائلا وقد هدأ قليلا:

- لا بأس لا بأس. المهم هل أنتما بخير .

- الحمد لله. المهم حضرتك هل أصابك أو سيارتك مكروه.

- الحمد لله. ولكن احذر . في المرة القادمة سألقي القبض عليك. فأنا ضابط شرطة . وجئت أتسلم عملي في قسم الشرطة هنا .
- تلفت هاني حوله قائلاً بدهشة مصطنعة:
- هنا؟ في هذه الصحراء؟ أين؟!؟
- ابتسم الشاب قائلاً:
- في الممكة أيها الذكي.
- مدّ هاني يده يصافحه قائلاً:
- اسمي هاني عامر. وشرفني كثيراً التعرف إليك.
- وأنا الرائد مجدي حسين. ولا يسعدني التعرف إليك. ولا أتمنى أن نكون صديقين. هيا اركب سيارتك وأرني كيف ستعدل وضعها على الطريق. وتنطلق بها. أم لم تتعلم ذلك بعد.
- عاد هاني إلى السيارة وهو يقول بابتسامة عريضة:
- أراك في المملكة إن شاء الله.
- عدل هاني وضع سيارته وانطلق بها بسرعه البطيئة . ومر الرائد مجدي من جواره بسيارته قائلاً وهو يلوح له:
- لا بأس بك. تلميذ جيد. سأسبقك أنا . لا أستطيع أن أسير بمثل سرعتك القاتلة ملأً هذه. إلى اللقاء.
- قالها وانطلق بسيارته فقالت رحمة بارتياح:
- الحمد لله. لقد خشيت أن تتشاجر معه.
- قال هاني وهو يولي تركيزه للطريق:
- ولماذا الشجار طالما يستطيع الحوار حل المشكلة. ثم أنني المخطئ.

ساد الصمت بينهما لحظات قطعته رحمة بخفوت:

- مارأيك في موقف هدير اليوم. هل تظن أنها تميل إليك؟

ابتسم هاني بحنان قائلاً:

- هدير مصابة بخلل نفسي بعد تلك الأحداث الأخيرة. ثم أنها لا تزال صغيرة.

- هي تبدو غريبة جداً منذ استعادت وعيها. فترات طويلة من الصمت. حتى نظرات عينيها غريبة. ليست هي قبل الحادث.

صمتت برهة وكأنها تتذكر نظرتها. ثم قالت بتردد:

- وأراها تنظر لوجهي بإعجاب غريب حتى أنني استحييت أن أتخفف في ملابسها.

لاحت لهما مدينة المملكة من بعيد. فتطلع لها هاني بانبهار وهو يقترب منها ببطء. إنها أشبه بتاج ضخ، بذلك السور العالي الشبيه بأسوار القلاع الأثرية والذي يحيط بها. وقمم الأشجار الخضراء التي تبرز منه. ومن خلفها المباني العالية، فخمة التشطيب الخارجي. وازداد الشبه بالتاج ذلك البرج العالي في منتصف المدينة والذي يعلو فوق جميع المباني حاملاً علم مصر.

تمنت لو تقول له أنها تحبه. ولكن لسانها خذلها ولم يتحرك. لم تنتبه أنهما يقتربان من المملكة. لم يكن يشغلها سوى اللحظة التي تعيشها. هذه السعادة التي حُرمت منها عمرها كله. مجرد وجودها بالقرب منه يجعلها تسبح في بحر من النشوة. أمواجه سعادة صافية.

انتبهت من خيالها عندما توقفت السيارة أمام بوابة المملكة الضخمة. و حارسان يقتربان من السيارة وأحدهما يقول لهاني بأدب و جدية:

- أوراقتك ياسيدي لو سمحت.

- قدم له هاني أوراقه وأوراق رحمة قائلاً بابتسامة مرحة قائلاً:
- إجراءات الأمن المشددة تشعرني بالخوف.
 - قال الرجل وهو يتفحص الأوراق:
 - هذا الشعور لا يغير حقيقة أن الإجراءات الأمنية تحفظ الأمن. وبدونها ستدب الفوضى .
 - أتفق معك . ولكن لي سؤال.
 - أعاد رجل الأمن الأوراق إلى هاني قائلاً:
 - قبل أن تسأله أجبني أولاً:
 - التقط هاني الأوراق ناظراً للرجل منصتاً:
 - أين بطاقة المملكة الخاصة بك؟
 - هذه زيارتي الأولى. وسأستخرجها قبل خروجي.
 - انحنى الرجل يلقي نظرة على رحمة قائلاً:
 - إذن أين تصريح الدخول ؟
 - قالت رحمة بصوت صارم يسمعه هاني منها لأول مرة:
 - أنا رحمة عمار أحد ملاك المملكة.
 - آسف يا سيدتي . هذا غير واضح في هوية المملكة الخاصة بك.
 - قال هاني ببساطة دون أن تتخلى عنه ابتسامته:
 - هذا لأننا لم ننتهي من إجراءات الميراث بعد . وعلى كل حال ، الحل بسيط . نتصل بمدير شركة المملكة.
 - تفحصهما بنظرة لحظات قبل أن يقول:

- هذا إجراء طبيعي.

عاد إلى حجرة الأمن . أجرى اتصاله بوالد نادر. ثم عاد إليهما قائلاً :

- لقد أذن لكما عبد الله ببيك بالدخول على أن يرافقكما أحد رجال الأمن إلى مقر شركة المملكة ، حيث تقابلانه.

أدار هاني مفتاح سيارته قائلاً:

- خيراً. سعدت بلقائك يارجل. إلى اللقاء.

استوقفه الرجل قائلاً:

- لم تطرح سؤالك.

ابتسم هاني قائلاً:

- نسيت... ربما أتذكر في المرة القادمة.

قالت رحمة وأحد رجال الأمن يفتح باب السيارة الخلفي ويركب معهما:

- أرجو ألا تكون إجراءات الأمن هذه ضايقتك.

نظر لها مبتسماً قبل أن يتحرك بالسيارة قائلاً:

- أبدا يا عزيزتي. لا يضايقني أبد الإلتزام بالقواعد والقوانين. بل يسعدني

ذلك وأتمناه فلو أن كل مسلم التزم بتعاليم دينه، وقوانين دولته وحتى العادات والتقاليد، مالم تخالف شرعا. لصارت الأرض جنة.

- لقد حرص الشركاء الأربعة، منذ وضعوا حجر الأثاث، أن تتسم مدينتهم بالأمان.

قال هاني وهو يتأمل الحديقة الكبيرة التي يمر من خلالها في مدخل المملكة:

- سبحان الله. خارج السور صحراء قاحلة. وداخله حديقة غناء.

قالت :

- المملكة مدينة جميلة. أشبه بالمدن الأجنبية. مصممة على أحدث النظم العالمية.

- يالها من حديقة كبيرة !

- إنها تحيط بالمملكة كلها، ماعدا الناحية الغربية. وهي منطقة ماتزال تحت الإنشاء . ولكن العمل فيها توقف في هذه المرحلة.

تجاوزت السيارة المنطقة النباتية. وتحركت بسرعتها البطيئة على طريق الشارع الرئيسي للمملكة ورحمة تقول:

- هذا هو الشارع الرئيسي. ومثله ثلاث. يقسموا المملكة إلى أربعة أقسام. وتقود الشوارع الأربعة إلى ميدان المملكة حيث مقر الشركة.

أشارت إلا فيلا على بداية الطريق قائلة والسعادة تتحرك في نبرات صوتها:

- وهذا نطاق الفيلا الذي يفصل النطاق البناني عن النطاق السكني. ولنا فيلا فيه.

ابتسم هاني قائلا:

- لنا أنا و أنت؟

خفق قلبها في سعادة . و خفضت رأسها في حياء.

قال هاني بانبهار:

- إنها حقاً مدينة رائعة. نظيفة جداً . منظمة جداً. مصممة بدقة و فن. وكبيرة أيضاً.

- المهم أن تتسم حياتنا فيها بالهدوء والسكينة.

أكمل هاني عبارتها:

- والسعادة.

صمت لبرهة قبل أن يقول:

- وما دُمننا سويا. فأي مكان يجمعنا هو أجمل بقاع الأرض.

انتبه هاني لوجود الحارس معهما في السيارة . فشعر بالخجل . وصمت .
وساد الصمت داخل السيارة فاردا جناحيه مغلفا الثلاثة. وجميعا يتأملون
مباني المدينة وشوارعها الفخمة النظيفة.

كل مبنى به شقة واحدة أو شقتان بها حياة. وأمام كل مبنى حديقة صغيرة
وملعب صغير للأطفال. الشوارع شبه خالية. ولكن فيها بشر. الحياة تزحف
فيها رويدا رويدا. بعض المحلات والمطاعم بدأت عملها بالفعل رغم قلة
الزبائن. توقف هاني بالسيارة أمام مطعم فول و طعمية قائلا:

- أنا جائع جدا. هل أكلنا اليوم؟

ابتسمت رحمة قائلة:

- أظننا نسينا.

التفت هاني للحارس في المقعد الخلفي قائلا:

- هل تأذن لنا بتناول بعض الطعام؟

قال الشاب بأدب واحترام:

- لا حاجة للإستئذان ياسيدي. أنا مرافق فقط. لا أقبض عليكما. مجرد
نظام. ولكن رجاء. السرعة ويكون في السيارة . فقائدي شديد جدا. بعد
إذنك طبعاً.

فتح هاني باب السيارة قائلا بامتنان:

- لا بأس. دقيقة واحدة.



أوشكت الشمس عن المغيب. فتناقصت درجة الحرارة بشكل ملحوظ. فالناس جميعا تتوارى من البرد داخل ملابسها الشتوية الثقيلة. والرياح بدأت تطلق صفارات الإنذار لهطول المطر. وفي صدر شهاب عاصفة من التفكير والمشاعر المتضاربة أنسته برودة الجو ولسعات الرياح . يمشي إلى جوار هدير في صمت. والجدال ضوضاء صارخة في رأسه.

هو على يقين أنه لا يحبها. الحب لا يولد حسب الطلب. ولكنه عاجز عن نطق ذلك. غارق في بحر الحيرة. إذا اقترب من شاطئ الرفض. جرته دموعها . ودفعه دلالتها وخضوعها بالقول إلى الأعماق . و تمتد يد المال و الجسد تجذبه إلى شاطئ القبول. فتلطمه يد الأمانة على وجهه . هل تخون الأمانة التي وُكِّلت إليك ؟ فيغوص في بحر حيرته من جديد.

- شهاب. أين أنت؟

التفت إليها في حيرة لم يبلغها قبل:

- أنا هنا. معك.

قالت هدير بحزن:

- كلا لست معي. أنا أتحدث مع نفسي.

ثم خلطت حزنها ببعض الدلال:

- أنا أعرف حظي . أعرف أن قدرتي التعاسة والوحدة.

شعر باختناق. لم يقف أبدا عاجزا عن اتخاذ قرار هكذا . يتخذ قراراته بدون حتى تفكير. اعتاد على القرارات السريعة . أما الآن فالعجز هو الطريق

الوحيد. ظلالة من الحيرة . وشمسه نيران حارقة من الخوف من الخطوة التالية.

يقول لا ويخسر فتاة مثل هدير. خُلُقٌ ، جمال، مال، عائلة محترمة.

يقول نعم استجابة لرغبتها. قد يكسب كثيرا ولكن، يكون قد خان الأمانة. واستغل لحظات ضعف تمر بها. لم يشعر منها بأي ميل قبل اليوم. فهل ستحبه اليوم فقط ولدرجة أن تظل تستجديه وتتوسل إليه فوق الخمس ساعات. بل على العكس، هذا التوسل وبهذا الإلحاح وبهذه الطريقة المخالفة لطبيعة هدير المتدينة. يوحي بأن لها غرض آخر غير الحب والزواج. هل تتخذه وسيلة لبلوغ غرض معين . ثم

- شهاب . أين أنت ؟!

انتفض شهاب بفرع. حدق في هدير بحيرة. وقد توقفت تنظر إليه بنظرات عجيبة كبلت أطرافه في ظلال الحيرة.

- لقد وصلنا إلى البيت. وأنت لم ترد علي بعد.

بدت الحيرة على وجهه أوضح من الشمس الغاربة.

- لم يبد عليك حتى أنك تسمعي.

نظر إليها لحظات صامتا. قبل أن يقول مفكرا في كل حرف يقوله:

- آنسة هدير، أنت حلم لي. لا أتخيل يوما أن أجد فتاة مثلك. ولكن.....

توقف عن الكلام وهما يقفان بحوار بوابة المبنى الذي يقطن فيه جد هدير . قالت هي بحزن:

- أنت لا تحبني.

ارتبك شهاب لم يدر ما يجيب. يجرح مشاعرهما أم يكذب عليها؟

- هدير. أنت

قاطعته ببكاء مفاجئ. ثم هرولت صاعدة السلم. شعر برغبة قوية في البكاء من عجزه عن اتخاذ قرار حاسم. أسرع شهاب خلفها.

وجدها أمام باب الشقة المغلق. توليه ظهرها متظاهرة بالبكاء. اقترب منها وهو يتلثم قائلاً بصوت مختنق:

- هدير أريدك أن تحاولي فهمي..

توقف خلفها مباشرة. وهي ساكنة تماماً كأنها لا تشعر باقترابه. أو أنها ترهف السمع لخطواته.

- إنني ...

قاطعته التفاتته المباغثة. نظر في عينيها في توتر وارتباك. انحبست أنفاسه إذ اقتربت منه وهي ترفع نقابها وتلقه فوق رأسها. توقف قلبه عن النبض وهو يشعر وكأن نارا تلفح جسده باقترابها فتراجع محتبس الأنفاس وهي تهمس بحرارة:

- أنا أحبك . أنا أدوب فيك حبا .

وهوى شهاب في بئر الحيرة. حاول أن يتشبث بشيء ما حتى لا يفقد أعصابه التي تذوب بالفعل . ويلفظ بما تريد أن تسمع. ولكن كلا. لا يمكن أن يستسلم. تشبث بخوفه من الله ليمنع نفسه من السقوط واعتمد بإرادته على الأمانه . ودفع جسده خارج بئر حيرته وتراجع قائلاً:

- آسف يا أنسة هدير. لا يمك.....

عقدت حاجبها بغضب شرس جعله يجزم أنه أمام فتاة أخرى غير هدير. ثم استدارت كإعصار قبل أن تفتح الباب وتهرول إلى داخل الشقة، و أغلقت الباب خلفها. وارتسمت على شفيتها ابتسامة نصر وحشية .

ظل شهاب واقفاً في مكانه يلهث وكأنه كان يعدو لمسافة طويلة . وعاد قلبه للنبض بأعتى قوته. وقف لا يقوى على الحركة يللمم أعصابه المبعثرة. ثم قال لنفسه بانهيار:

- أين أنت ياهاني ؟ أحتاج إليك .

(3) عُصْفُورٌ جَارِحٌ

ووقف ولد فوق سطح بيته
 متربصًا متحفزًا بقوسه
 وأطلق سهمه، أصاب وديعا
 فسقط على الأرض صريعا
 مكسور الجناح مذعورا
 وخلفه الغراب مسحورا
 ينتف ريشه بسـرور
 لا يلتفت إلى أنينه المبتور

- ياله من مكان. ماتخيلت أن تطأ قدمي مكان بمثل هذه الفخامة.

طأطأت رحمة برأسها بحياء. إذ كانت تشعر أن كل العيون تحديق بها . فكانا يخطوان أولى خطواتهما في صالة الاستقبال في مبنى إدارة المملكة. فتابع هاني بانبهار:

- هذا بالفعل أروع مكان وقعت عليه عيناى.

لم تجبه رحمة. ما ترفع عينيها إلا وتلتقيان بعينين. فانكمشت وهي تمشي على استحياء. فاشفق عليها هاني فأبطأ خطواته لتواكب خطواتها قائلا بمرح:

- لماذا كل هذا الاضطراب ؟ أنا إلى جوارك يا عمري. فكيف ينال منك الخوف؟

كلمته يا عمري كانت بمفعول مهدي قوي المفعول. هدأت لها جوارحها فورا.

قالت بمرح وقد تلاشت كل العيون فجأة :

- ألم تقل لهدير أنك لا تصلح لحماية أحد؟ كيف ستحميني إذن إذا حاول شخص ما الاعتداء علي الآن؟

قال بثقة مازحا:

- ولو كانوا مائة ياعمري . لن ينالوا منك شعرة. وفي صدري نفس يتردد.

أنستها كلماته ليس الموظفون والعملاء حولها فقط بل العالم بأثره. خففت رأسها في سعادة وحياء ولم تجبه. توقفا أمام موظفة الاستقبال. قال هاني بعد أن ألقى عليها السلام:

- لدينا موعد مع عبد الله بيك. هذه السيدة رحمة عمار و أنا مدير أعمالها هاني عامر.

تطلعت إليه موظفة الاستقبال بدهشة لحدثة سنة مقارنة بمهنة مدير أعمال ونقلتها لرحمة بنفس الدهشة فلم تعد رؤية منتقبات في المملكة. وتزايدت دهشتها لجمال عيونها الذي يفضي بجمال صارخ مع رقة ساحرة. قالت مأخوذة بجمال عينيها:

- لحظة واحدة أتصل بسكرتيره.

وما أن أنهت اتصالها، حتى أشارت للحارس بالانصراف. وأشارت لهاني على المصعد وقالت باحترام شديد مختلط بدهشة:

- هذا المصعد يقودكما للطابق الثالث حيث مكتب عبد الله بيك مدير الشركة.

قال هاني وهو يتحرك نحو المصعد:

- أشكرك كثيرا.

قالت رحمة وهي تسرع إلى جواره:

- هل كنت تكلمها برقة ؟ أم يهياً إلي ؟

ابتسم هاني قائلاً:

- ولماذا ؟ وبجواري شمس وهاجه. تخطف الأبصار وتطمس النجوم. تنير
الأمصار، تبدد الغيوم. إذا أشرقت على أحزان مِلاً البحار، ما تركت منها
حزناً ولا هموم.

تطير ضيقها مع حروف كلماته. وارتفعت موجة سعادتها حتى شعرت بأنها
تحملها حملاً. فانهمرت دموعها وهي تقول بصوت تدافعت فيه مشاعر شتى،
فصار أشبه بهمهمات ولكن آذان هاني التقطت كل حرف منه:

- هل تعلم ما أتمناه الآن ؟

توقف أمام المصعد الكهربائي وضغط زر استدعاء المصعد وهو يقول بصوت
ملأه الحب:

- نعم أعلم.

تطلعت إليه بدهشة قائلة وباب المصعد يفتح بصوت إلكتروني هادئ:

- حقا ؟ !

قال وهو يخطو داخل المصعد وعيناه لا تفارق عيناهما:

- حقا. لأنه نفس ما أتمناه بالتأكيد.

ولجت المصعد خلفه وقلبها يرقص فرحاً بين ضلوعها. منذ وعت على الدنيا
وحياتها تنتقل من درب مظلم إلى درب أظلم. وعندما ظنت أنها النهاية.
أشرقت الشمس. واستحال الليل إلى نهار .

بحثت عن كلمات تنفوه بها ولكن سعادتها ألجمت لسانها. اكتفت بالنظر في
عينيه. وكذلك هو غاص في بحور عينيهما و.....

ارتفع رنين هاتفه مع انغلاق باب المصعد.

فابتسم والتقط الهاتف من جيب سترته قائلاً:

- لم أتوقع أن يرن بهذه السرعة.

قالت وهي تنظر إلى عامل المصعد وهو يضغط زر الصعود:

- أكيد شهاب. ولكن.....

تسلل القلق إلى قلبها لينتزعها من حلمها الجميل ويلقيها بقسوة على أرض الواقع لتتذكر أن لها ابنة تحبها كأشد حب أم لابنتها, فهتفت برعب ضاعفه إحساسها بالذنب:

- ماذا حدث لهدير؟ أجب بسرعة بالله عليك.

وضع الهاتف على أذنه وقد فتح الخط بالفعل. وتعلقت عيون رحمة بملامح وجهه تقرأ ما يسمعه. لكنه لم يلفظ بغير رد السلام. ولم تفصح ملامحه عما يصل لأذنه. توقف المصعد وخرج الاثنان وهاني يتابع حديث شهاب باهتمام. استقبلهما شاب بالغ الأناقة والأدب.

وقف بهدوء مرحباً منتظراً هاني حتى ينتهي من مكالمته. ورحمة متعلقة بوجه هاني تسأله بقلق:

- ماذا يقول لك يا هاني؟

أشار لها أن تنتظر وهو يقول:

- ثم ماذا؟

صمت من جديد ليسود الصمت على قاعة الانتظار الأنيقة بالواقفين الثلاثة. ثم قال ببساطة وابتسامة أرخت أعصاب رحمة وشتتت قلقها:

- الأمر بسيط يا أخي . ابتعد عن هذا الفتى. وأنا عندما أراه سأحسم هذا الأمر . ولا تقلق نفسك . واعلم أنه يبطن غير ما يُظهر . فحقيقة الأمر تخالف ظاهره. تفهمني ؟

صمت مرة أخرى ينصت لشهاب. ثم قال:

- وهو كذلك. وانتبه لنفسك.

أغلق الهاتف ووضعها في جيبه، ولم يعطِ فرصة لرحمة أن تسأل فتوجه إلى الشاب مصافحا معتذرا:

- اعذرنى يا أخي . لم يكن من الممكن تجاهل هذه المكالمة.

قال الشاب بأدبه الجم ووجهه البشوش:

- لا عليك يا سيدي هذا أمر طبيعي.

صافحة هاني بحرارة والشاب يشير إلى أحد الأبواب المغلقة ويتحرك نحوه:

- عبدالله بيك في انتظار سيادتكما.

همست رحمة في أذنه:

- هل يواجه مشكلة ما؟

أجابها والشاب يفتح الباب:

- تعلمين مشاكل الشباب لا تنتهي. وكلها تفاهات. لا تشغلي بالك بهذا.

عدل من وضع سترته وهو يلج حجرة المكتب الخاصة بعبد الله مدير الشركة ووالد نادر. أخفى إحساسه بالرغبة والمهابة. عندما وقع بصره على ذلك الرجل فشعره الأبيض مع ملامحه التي تتم عن شخصية قوية وذكاء حاد. وأيضا ذلك الغضب المخضب بالحزن يرسم ملامحه على قسماات وجهه، كل ذلك أضفى عليه مهابة كبيرة.

ألقي هاني السلام برزانة ووقار وبساطة أخفت ما يشعر به من رهبة. رد عليه عبد الله السلام بصوت ملاء الضيق والغضب أخفى ما يشعر به من دهشة. فصورة هاني ورحمة خالفت كل توقعاته. توقع امرأة عصرية متبرجة توافقا مع شخصية زوجها الراحل. وتخيل هاني رجل كبير في السن ليصلح لهذا المكان. فاستقل بهما نوعا و إن استشعر بفطنته وخبرته أنه ليس شابا تافها. وإنما يحمل عقلا لا يستهان به. وقلبا. لا يعرف شيئا اسمه الخوف. و عيون نسر جارح يمتلك السماء.

اقترب هاني ورحمة خلفه تمشي على استحياء. دعا هاني للجلوس ثم قال لسكرتيه:

- أرسل إلي واحدا من قسم أوراق الهوية. ليستخرج لهما بطاقتي هوية. جلس هاني على المقعد المجاور للمكتب ورحمة على المقعد المواجه له. وما أن أغلق الشاب الباب حتى قال هاني:

- كم يشرفني يا سيدي أن أعمل مع رجل عظيم مثلك.

استرخى عبد الله في مقعده وهو يقول لهاني وعيناه تتفحصه:

- عبارتك هذه تثير دهشتي لسببين.

قالها وصمت دون أن تتراجع عيناه عن مراقبة وجه هاني الذي تابعه بدوره بهدوء وثقة أثارت إعجاب رحمة أكثر. ورسم على شفثيه ابتسامة واثقة وهو يقول :

- الأول أني خاطبتك بسيدي على الرغم من أني لا أعمل تحت إمرتك. والثاني وصفني لك بالرجل العظيم، على الرغم من أن هذا هو لقائنا الأول.

ابتسم عبد الله وقد بدأ هاني يروقه. أشار لهاني قائلا:

- أزل دهشتي إذن.

اعتدل هاني في جلسته قائلاً:

- أرد على الثاني أولاً. أنا أعرف سيادتك. فلقد أرسلت رجالك لقطع يدي من فترة قصيرة.

حدق فيه عبد الله بدهشة وهو يسترجع أفكاره ثم قال متفاجئاً:

- كيف لم أتذكر الاسم!؟

- لسببين. الأول أن صاحب الاسم لم يكن يعني لك شيئاً. والثاني لما سمعته مؤخراً ، ظننته أحد الأسماء المعروفة في محيط عملك وهو ليس كذلك.

صمت لبرهة يسمح فيها لعبد الله ابتلاع المفاجأة. ثم قال بهدوء حمل رنة إعجاب:

- فكان من الطبيعي أن أعرف من عدوي. فتحرّيت عن نادر ثم أنت بعد انتهاء البطولة. وتوصلت إلى رحلة الكفاح التي بنيت بها نفسك وكونت ثروتك العظيمة بطرق قانونية شرعية . تزخر رحلتك في تكوينها بمواقف بطولية وشهامة تستحق التقدير مع رفاقك وأحياناً خصومك. ولقد زرعت قصتك طموحاً في صدري. تمنيت لو تسمح لي الظروف بأن أضعه بين يديك تصقله بخبراتك وذكائك . فأصير مثلك يوماً. وها أنا أجلس بين يديك. وهذا ما جعلني أخطبك بسيدي . فأنت أستاذي . فلا تبخل عليّ يا سيدي بهذا الفضل.

وضع عبد الله مرفقيه على المكتب. وشبك أصابعه واعتمد بذقنه عليها. وصمت يقلب كلمات هاني في رأسه. قد يكون الفتى متملقاً يحاول كسبه . وقد يكون صادقاً. ولكن في الحالتين هو الرابع. هذا خصم نادر اللدود. الذي مابغض في حياته مثله. وقد ساقه القدر إليه يمكن أن يستخدمه ضد نادر وكونه في صفه الآن فهذه ضربة جيدة لنادر الذي نسي من هو أبوه. الذي ما خسر في معركة قط.

رفع عينيه لهاني بعد فترة صمت . وقال:

- وما المقابل ؟

مال هاني للأمام بحماس قائلاً:

- أكون رجلك لا تطلب مني شيئاً لا يخالف الشرع ولا القانون. وأخالفك.

قطع حديثهما طرقات خفيفة على الباب فقال عبدالله:

- ادخل يا عماد.

دخل عماد ومعه أحد مسئولي أوراق الهوية. فقال هاني :

- لو سمحت يا سيدي. سيدتي لها رجاء.

تطلعت إليه رحمة بدهشة. ما هذا الطلب الذي سيطلبه نيابة عنها؟

تلاقت الأبصار على وجه هاني بترقب وهو يقول:

- سيدتي ترجو أن توافق سيادتك على استثناء بطاقتها من وجود صورة شخصية.

عقد عبد الله حاجبيه بمزيج من الدهشة والتفكير. لم يعتد على إجراء استثناءات. منذ حادثه وهو يعلم أن بداية انهيار أي منظومة يبدأ باستثناء ثم آخر يجر ثالث. ثم تتوالى الاستثناءات والتنازلات حتى تدب الفوضى. فيحتضر النظام. وتتلاشى المنظومة.

ولكن منظومته على وشك الضياع بسبب الاستثناء الوحيد في حياته الذي لم يستطع التغلب عليه. والذي ظل يكبر تحت ظل شجرة استثناءات ظنها بعيدة عن عمله. وها هي تلتهم ربع مملكته. وما زال التهديد مستمرا. إن ابنه يدبر أمرا وهو وشيك. و هاني ورقة رابحة ضده، ولا ينبغي خسارته. فربما يأتي هذا الاستثناء بخير أو على الأقل يكسر خطر الاستثناءات الأخر.

- فسيدتي كما ترى منتقبة. والنقاب فريضة . أعلم أن سيادتك قد تخالفني

فى الر

قاطعته عبد الله مبتسما:

- لا بأس يا هاني. لك هذا.

قالها والتفت إلى رحمة قائلا:

- لقد أحسنت الاختيار يا سيدتي. يبدو أن رجلك سيكون مدير أعمال ناجح.

قال هاني بسعادة:

- لا أدري كيف أشكرك ياسيدي. هذه شهادة أعتز بها.

نهض عبد الله واقفا وهو يقول بجدية وصرامة:

- لقد اتفقنا. أليس كذلك؟ وأنا كلمتي سيف. يحميك ، وقد يزهق روحك. لقد

فاجأنتني عندما أعلنت لي أنك كنت خصم نادر في البطولة. وأنا فاجأتك
بالموافقة التي لم تكن تتوقعها فعلا.

نهض هاني ورحمة لنهوضه. ودار هو حول مكتبه قائلا:

- وسأذهلك كثيرا في الدقائق التالية.

توقف أمام هاني مباشرة وقال بأسلوب أشبه بالتهديد:

- سأهبك ثقة وصلاحيات لم أهبها إلا لابني . وها هو يسعى بها لهدمي. إن

كنت بها كما أريد، فستنال معي كل ما تريد. وإلا

- لن أخذك أبدا يا سيدي إن شاء الله.

أشار إلى رجل أوراق الهوية. فأسرع إلى حيث هاني ورحمة.



حاول الاسترخاء في فراشه. فأبت عضلاته عن الانبساط. سيطر التوتر على

كل خلية من خلاياه حتى صارت ترتجف. رغم أن مكالمته مع هاني هدأته

كثيرا. وقد بدأت الفكرة أكثر وضوحا في عقله. هدير لا تحبه. هي فقط تخطط
 لأمر ما. يحبط مخططها إن قاومها وصدها. وعندما يعود هاني سيحل
 المشكلة كما وعد. انتفض في رعب واقفا بجوار الفراش عندما دق جرس
 الباب.

زفر ينفث رعبه قائلا:

- اهدأ يا شهاب. ماذا جرى لك؟ تخاف من فتاة كهذه.

زفر بقوة مرة أخرى. واتجه نحو باب الشقة التي استأجرها له الشيخ عمار
 بجوار شقته تماما. اقترب من الباب ونبضات قلبه ترتفع. وأنفاسه تضطرب.
 يتوقع أن تكون هي. لن يسمح لها بالدخول. وسيخبرها أنه لا يحبها بقسوة
 وصلابة. وسيبحث عن عذر ليتركها هي والشيخ عمار ويرحل:

- من الطارق؟

قالها بوجل دون أن يفتح الباب. فأتاه صوت الشيخ عمار:

- صلاة المغرب يا شهاب. الأذان يوشك.

فتح شهاب الباب بارتياح قائلا:

- سأتوضأ فقط يا سيدي. وسألحق بك في المسجد.

انصرف الشيخ عمار. فأغلق الباب بإحكام وتوضأ. وارتفع صوت الأذان
 خلال وضوئه. شعر براحة كبيرة بعد الوضوء وقد بدأت أطرافه بالسكون. ولم
 يدم ذلك لمدة طويلة إذ ارتفع رنين الهاتف الأرضي. زفر في حنق قبل أن
 يتجه للهاتف ويرفع السماعة بتوتر. أنته صرخات هدير المزعورة عبر
 سماعة الهاتف:

- أدركني يا شهاب. شخص ما.....

قطعت كلامها بصرخة قوية مع فرقعة مكتومة....

ألقى شهاب سماعة الهاتف. وانطلق بكل قوته وقد تبدد خوفه وتلاشى توتره.

وجد باب الشقة مفتوح. تسلل بحذر وهو يرهف السمع. لا صوت على الإطلاق. قطع الأثاث في مواضعها. لا شيء غريب. تقدم بحذر وتحفز. باب حجرتها مفتوح و تسلل إلى أذنه صوت صراخ مكتوم. أسرع إلى الحجرة . دخل قابضا عضلاته . متحفزا لأي هجوم. وعيناه تمسحان الغرفة الخالية من الإضاءة تقريبا. وثب إلى منتصف الحجرة عندما رأى شبحا يتحرك من خلف الباب. واستدار يواجهه.

كانت هدير تقترب منه مبتسمة . صرخ في وجهها بغضب:

- ما هذا المزاح السخيف يا هدير.

أمسكت طرفي قميصه وهي تقترب أكثر. ف شعر بالغضب تغلي به دماؤه فدفعها بغلظة وهو يصيح:

- كفى . لقد انكشفت خطتك.

تفاجأ برد فعلها إذ تراجعت بفرع إصر كلماته. ثم اشتعلت عيناها بشراسة غريبة. تراجع هو لها بوجل.

هدير العصفورة الرقيقة تحولت ملامحها للامح وحش مفترس. كل ما كان يقصده شهاب أن هدير لا تحبه كما تدعي و وإنما لها مآرب أخرى غير الحب. فظن سام الذي يسيطر على جسد هدير أن شهاب توصل بطريقة ما إلى حقيقته.

فصاح بصوت هدير ولكن بأسلوبه هو هذه المرة الذي امتلأ شراسة ووحشية ومقت :

- وهل يعلم هاني بذلك ؟

قالها و هو يدنو من شهاب دنو الوحش من فريسته. تراجع شهاب بذهول غير فاهم. لماذا تحولت هكذا وكيف ؟ ولم يخطر بباله إلا أنها جنت. فتراجع بخوف وحيرة و آخر كلمات أذان المغرب تتناهى إلى مسامعه. أجاب بصوت مرتجف :

- لقد اتصلت به و

بتر عبارته مع انقضاضة هدير المباغته وصرختها:

- لماذا أيها الغبي؟

دفعته بقوة فتعثر بحافة الفراش وسقط فوقه مندهشا من قوتها. تدرج فوقه بسرعة وهب واقفا في الناحية الأخرى. ولدهشته وجدها تدفعه بقوة على النافذة . ففرد ذراعه يعتمد على إطارها حتى لا يصطدم بالزجاج.

لم يكن يدري ما الذي يحدث بالضبط . إن كانت قد جنت من أين حصلت على تلك القوة والسرعة؟ الحيرة والارتباك يعصفان بعقله و

لم تمهله حتى يبحث عن جواب. طوقت عنقه بذراعها الأيمن من الخلف وشدت الضغط.

حاول التملص منها دون أن يؤذيها ففشل. ضربت الزجاج بيدها اليسرى فتحطم بدوي قوي. وتدفقت الدماء غزيرة من شرايينها الممزقة . وذراعها الأيمن يضغط بقوة أكثر وتقول بصوت شيطاني لا يكاد يمت بصلة لصوتها:
- ولكنه لا يعلم أني سأصير أنت.

ضربها شهاب بمرفقه بكل قوته حتى سمع صوت تحطم أحد أضلعها. وما ازداد ذراعها حول عنقه إلا ضغطا. وبدأت الدنيا تظلم أماما عينيه. كلا لن تهزمه فتاة . تلميذة في الثانوية تهزمه هو؟ كلا . أمده غضبه بقوة أكثر . وضعت يدها المصابة على وجهه وتناثرت الدماء وتدفقت على وجهه.

وثب شهاب يضربها بالجدار بكل قوته. تسلت الدماء إلى فمه. وتهاوى ذراع هدير فجأة عندما خرج ذلك الجسيم الصغير مع دماؤها وتسلى إلى فمه. ألقى شهاب هدير بقسوة من على ظهره وهو يبصق دماءها من فمه. وابتلع بعض القطرات رغما عنه ومعها ذلك الجسيم الضئيل الذي يحمل روح سام.

وقف يلتقط أنفاسه ويمسح الدماء عن وجهه وينظر لهدير الراقدة أرضا ورأسها على صوان الملابس فاقدة الوعي. حدق فيها بذهول. وصوت يصرخ في أعماقه:

- ليست هذه البراعة التي كانت معه طوال اليوم.

شعر بشيء ما يجتاح عقله . شعر وكأن مخه يغلي وألم في رأسه يتصاعد . وسرى خدر في أطرافه. وبدأ يستوعب. لقد استولى سام على جسد هدير. وحاول إبعاده ليظل هاني وحيدا حزينا. فينتقم منه. ولما ظن أن شهاب كشفه، قرر الانتقال لخطوة بديلة . وهي الاستيلاء على جسده هو. ومنه يصل لهاني ويقتله. بدأ يفقد السيطرة على أطرافه والصداع ينمو بسرعة مرعبة في رأسه. و دماء هدير تتدفق من شرايين معصمها بغزارة. لو نجح سام في السيطرة عليه تموت هدير في الحال . يتلوها هاني والله أعلم من بعد. حاول المقاومة ومطارق تضرب في رأسه وثقل في أطرافه . وظلام يغزو عينيه.



جلس عبد الله على رأس منضدة الاجتماعات. وهاني يجلس عن يمينه. والمهندس حامد عن يساره كما اقترح هاني بعد أن صارحه عبد الله بكل شيء. فقد اقترح أن يظل حامد في موقعه في الشركة كمهندس ومسئول عن خزينة الشركة . فتكون هذه أول ضربة لنادر. ولقد أثارت هذه الفكرة إعجاب عبد الله بهاني.

كانت قاعة الاجتماعات واسعة تتوسطها منضدة مستديرة. الجدار المواجه للشارع عبارة عن نافذة زجاجية كبيرة. خارجه إفريز صغير يحمل فوقه

زهور مختلفة الألوان . الجدار المقابل له مكتبة تمثل الجدار كاملا. وأحد الجدارين الباقيين يحمل شاشة عرض سينمائية كبيرة. أسفلها أجهزة كمبيوتر. معلق على الجدار من جانبيها سيفين عربيين لامعين. والجدار المقابل فيه باب لمصعد يقود لكل طوابق المبنى.

القاعة مكيفة. فعلى الرغم من برودة الجو كانت القاعة تتمتع بدفئ جميل. تسري رائحة عطرة رقيقة في أرجاء القاعة تنبعث من أجهزة صغيرة موزعة في الأركان.

- أخشى من عواقب هذه الخطوة يا عبد الله.

ابتسم عبد الله مطمئنا:

- لا تخش شيئا يا حامد. هذا وضع طبيعي. ليس معنى أنك بعت نصيبك في الشركة أن تفقد وظيفتك.

ارتبك حامد وفرك أصابعه المبتلة بعرقه وقال بتردد:

- ولكن أنت تعلم..... إنه....

أجابه عبد الله بضيق:

-لا تقلق نفسك بهذا. لدي خطة بهذا الشأن تضمن لك التحرر من هذا القيد إلى الأبد إن شاء الله.

مال هاني إلى الأمام معتمدا بمرفقيه على المائدة قائلا بثقة :

- انس أمر الشريط هذا يا سيدي. وثق أن كل شيء سيعود لنصابه الصحيح.

كاد حامد يقول شيئا لولا أن أصدر المصعد صوتا إلكترونيا. فتطلعت العيون له والباب يفتح وبرز منه وحيد المحامي ، الشريك الرابع في المملكة.

ألقي السلام وهو يتجه لمقعده. اختلس نظرة لكل واحد وهو يتظاهر باللامبالاة. وقد أيقن أن المعركة بين نادر وأبيه بدأت وبدأت ساخنة.

والتقط هاني تلك النظرة التي تحمل شراسة ذئب ومكر ثعلب. قال وحيد بخبث بصوته الأشبه بفحيح أفعى:

- هل بدأتم الاجتماع باكرا ؟

أجابه عبدالله مبتسما:

- مستحيل طبعاً. أنت تعرف النظام.

جلس على مقعده في مواجهة عبدالله. وقال بابتسامة خبيثة:

- كيف حالك يا حامد ؟ .

شعر حامد برنين التهكم مع فحيح شماته في صوته. فطغى الخزي على رأسه فانتكست في خجل. فغضب هاني ووجد نفسه يفعل قائلاً:

- الرجل يمر بضائقة. ولكنه سينهض منها أقوى من ذي قبل بإذن الله.

نقل وحيد عينيه ببريق التهكم قائلاً:

- ومن أنت بالضبط ؟ محاميه؟

قال هاني بحدة وإن جاهد أن يجعل صوته هادئاً:

- لست المحامي هنا. بل سيادتك.

رمقه وحيد بتحد قائلاً:

- ما شهادتك يا فتى ؟ وبأي صفة تتكلم؟

ركن هاني ظهره لظهر مقعده عاقدا ساعديه أمام صدره قائلاً بثبات:

- أنا هاني عامر. كلية التربية الفرقة الرابعة لغة فرنسية. مدير أعمال

السيدة رحمة زوجة رشدي بيك رحمه الله.

ابتسم وحيد بتهكم قائلاً. والمصعد يصدر صوته المميز من جديد:

- ولماذا تتكلم بهذه الحدة يا مسيو هاني؟
ابتلع هاني غضبه وقال بهدوء:
- ومن قال أنني محتد؟ أنا فقط لا يعجبني التهمك على الآخرين. وأسلوبك في الكلام فيه رنين تهكم واضح.
- دلف نادر إلى القاعة. فالتفت عيناها بدهشة عندما وقعتا على هاني:
- أنت؟! ماذا تفعل هنا؟! وأنت أيضا؟! ما الذي يحدث بالضبط؟!
التفت إليه هاني قائلا :
- أهلا سيد نادر. هل فاجأتك رؤيتي؟
قال نادر بغضب دون أن يغادر مكانه:
- لم تجب سؤالي ، ماذا تفعل هنا؟
نظر إليه هاني بلا مبالاة للحظات يستفزه أكثر، ثم قال:
- نفس ما تفعله أنت. ظننتك سترحب بي. ها قد اتحد طريقانا من جديد.
تقدم نادر وهو يصيح بثورة:
- هل تسوي نفسك بي أيها الحشرة؟ أنسيت من أنت ومن أنا؟
صفق وحيد متhekما :
- رائع.. أهم مكان في مدينة المملكة صار ساحة لشجار الأطفال.
احتقن وجه نادر بغضب. وكاد يصيح في وجهه بغضب لولا أن تذكر أنه يحاول استقطابه لصفه. وأصدر المصعد صوته معلنا وصول آخر الأعضاء.
فتحرك نادر نحو مقعده في صمت . وجابر يغادر المصعد إلى القاعة.



تحرك شهاب نحو هدير الملقاه أرضا . دماؤها تتدفق بغزارة . وقد أدرك أنه سيخسر معركته مع هذا الوحش الصغير. آلام رأسه في تصاعد مستمر والظلام يسيطر على عينيه. والشلل يدب في أطرافه. انتزع قطعة ملابس لا يدري ماهي ، وراح يلفها حول معصمها بأصابع مرتجفة ، يمنع بها تدفق الدماء . ثم حملها وانطلق بها يحرك أطرافه بصعوبة بالغة ، لا يرى أمامه إلا أشباحًا وظلالًا.

استقل سيارة أجرة وهو في حالة غريبة بين الوعي واللاوعي . ورأسه تكاد تنهشم من الألم. وأخيرا وصل إلى المستشفى . أخذها منه أشباح يهيءُ إليه أنهم يرتدون ملابس بيضاء، وسقط هو على ركبتيه ماسكا رأسه صارخا بأهة ألم رهيبه . انتفض لها كل من صكت أذنيه بفرع شديد . ثم هوى على وجهه بلا حراك.

تأمله من كانوا في قاعة الاستقبال بدهشة وفزع واندفع نحوه البعض و

تراجعوا بدهشة عندما نهض من جديد بقوة ونشاط غير الذي دخل بهما المستشفى من دقيقة واحدة . وخلت ملامحه من أي آية ألم. وعينيه تشتعلان بشراسة ذئب مفترس. وعلى شفثيه ابتسامة نصر . قال بصوت شرس خفيض وهو يمسح الدماء عن وجهه بكُم قميصه:

- هل ظننت أنه بمقدورك هزيمتي أيها العصفور البائس؟

تلقت حوله وهو يهمس لنفسه:

- أين أحضرتني أيها الغبي؟

خرج من المستشفى بخطوات ثابتة وهو يتوغل في عقل شهاب يقرأه. ثم قال وهو يقف أمام بوابة المستشفى:

- إنك لم تكن تقصد أنك كشفتني فعلا عندما قلتها. لقد تسرعت قليلا. ولكن لا بأس , الخطة تسير في مسارها الصحيح. خاصة أن الأستاذ هاني لا يعرف شيئا.

قالها وهو يرفع يده اليسرى الوحيدة لسيارة أجرة يشير لها. توقفت السيارة أمامه والشمس تلملم آخر خيوطها لترحل إلى مكان آخر مفسحة للظلام كي يبسط أستاره ليبدأ ليل جديد. قال للسائق وهو يقفز بحماس داخل السيارة :

- إلى مدينة المملكة أيها السائق.

سأله السائق بدهشة وهو يتحرك بالسيارة :

- أين مدينة المملكة هذه؟!!

- سأرشدك للطريق . انطلق بأقصى سرعة لديك.



وقفت منال أمام بوابة مبنى شركة المملكة تنظر إلى هاتفها المحمول بتوتر وقلبها يدق بعنف . تضرب الرياح الباردة كل خلية في جسمها ويتحرك شعرها في الهواء بفعلها. ترتجف بردا ورعبا في نفس الوقت . عندما عرض عليها نادر العمل كسكرتيرة له كانت في غاية السعادة . المرتب ضخم وهي من عائلة فقيرة . ومنذ ذلك الحين وهي لا ترفض له طلبا . لا تريد أن تخسر عملها معه. تريد أن تثبت جدارتها . وتمنت يوما أن يحبها ويتزوجها . وحاولت لفت انتباهه بملابس عصرية جذابه. وعندما كاد ينتبه إليها وبدأت تلاحظ نظراته لها . بدأ ينشغل ببطولة الجمهورية للمبارزة وأهمها تماما. ثم تزوج وضاع أملها .

والآن يطلب منها طلبا يصعب عليها تنفيذه ولا يمكنها الرفض.

تنقلت بين جهات الاتصال على هاتفها بأنامل مرتجفة . وتوقفت عند ذلك الاسم الذي ينبغي أن تتصل به استجابة لأمر سيدها. تستعر نار الحيرة في

رأسها . تشترك مع نادر في هذه الجريمة أم تترك كل شيء وترحل. وإن هربت ومعها سر نادر فهل سيتركها. مستحيل طبعًا. الذي يقدم على قتل أبيه لا يمكن أن يرحم أحدا.

ضغطت زر الاتصال ودمعة تفر من عينها . لا يمكن أن تتسحب الآن ستجر الوبال على نفسها وأسرتها . وضعت الهاتف على أذنها تستمع لصوت الجرس برعب وكأنها تنتظر وحشا يرد عليها . وأتاها الرد بصوت قاس فقالت بمرارة وتوتر بصوت مرتجف باك:

- ابدأ مهمتك.

أنهت المكالمة وجففت دموعها وأعدت تصفيف شعرها بيدها. وأرسلت رسالة فارغة إلى نادر تعلمه أن الجريمة قد بدأت. ثم تحركت مبتعدة عن مبنى الشركة مسرعة . وخلفها تحرك عماد سكرتير عبد الله متخفيا يراقبها. وصلت الرسالة إلى نادر . فاعتدل في مقعده بتوتر ووالده يقول :

- اجتماعنا اليوم سنناقش فيه عدة نقاط. أولا : التعريف بالأعضاء الجدد والمهام الموكل بها كل عضو.

فتح حافظة أوراق أمامه وزعها عليهم وهو يتابع بأسلوب صارم:

- الأستاذ وحيد شكري محامي الشركة والمستشار القانوني لها . الطابق الثالث بالكامل خاصته. وهو المسئول عن الشؤون القانونية للشركة والمدينة كلها. والمهندس حامد هو المدير المالي للشركة ومدير القسم الهندسي. فله الطابق الثاني . وأما ...

قاطع نادر معترضاً:

- أنا أعترض على ذلك . المهندس حامد ليس من الشركاء فكيف يحتل هذان المنصبان الهامان؟ ثم أنني

أشار له بيده بصرامة و غضب أن يصمت . فسكت محنقًا . وصمت عبدالله
بملامح صلبة جامدة لا تتَّمَّ عما يعتمل في صدره من بركان ثائر. صمت
لدقيقة كاملة خيم فيها الصمت على القاعة مترقبين قوله حتى تكلم بصرامة
هادئة :

- من حَقَّ الاعتراض. ولنر هل من معترض آخر.

صمت الجميع ولم يجب أحد فقال عبدالله بحزم:

- وكما ترى لم يعترض غيرك. ولما لم يقصر الرجل في عمله من قبل، فلا
يحق لأحد أن يزحزحه منه. لذلك فاعتراضك مرفوض.

قال نادر مغضبًا:

- وماذا سأنت.....

قاطععه عبدالله موجها حديثه لجابر:

- الأستاذ جابر سيحل محل أخيه رشدي رحمه الله في إدارة مبنى الشركة .
ومكتبه في الطابق الأرضي . حيث المكاتب المختصة بالتعامل مع
المواطنين . هل من اعتراض.

قال جابر بصوته الأَجَش وهو يطالع الأوراق أمامه:

- لا مشكلة يا عبد الله بيك .

- إذن وقع الأوراق التي بين يديك حتى تبشر عمك من الغد إن شاء الله.

حدق في نادر لحظات صامتًا ثم قال بصرامة غاضبة:

- أما الأستاذ نادر فمسنول عن الأمن في المدينة.

صاح نادر :

- كلا . هذا ظلم . أنت تعلم أن الأمن في المدينة يتولاه الجيش والشرطة ، لوجود رجال من الجيش والشرطة من قاطني المملكة. فدوري هكذا لا قيمة له.
- رجال الأمن الخاص بالمملكة عددهم ضعف عدد قوات الجيش والشرطة . وأنا أعطيك القيادة .
- أنا لا أوافق.
- هذا ليس من حقك للأسف . فأنا المدير العام. أنا أقترح . والموافقة جماعية . اعتراضك وحده لا يكفي. نأخذ الأصوات.
- نقل بصره بينهم جميعا . ولم يعترض أحد. فاحتقن وجه نادر بغضب ثم انفجرت أساريره فجأة ، وكأنه انتبه أو تذكر شيئا ما . فاسترخى في مقعده قائلا بهدوء مبتسما:
- لا بأس . هذا يناسبني.
- اندهش عبد الله لهذا التغيير المفاجئ وتردد السؤال في عقله:- ما الذي غير رأيه هكذا؟
- قال نادر وهو يشير لهاني متهكماً:
- والأستاذ هاني ما دوره؟ أرى أنه لم يعد له دور.
- الأستاذ هاني عامر سيكون مساعدي ومدير العلاقات العامة في الشركة قال وحيد مندهشا :
- ولكن العلاقات العامة كانت خاصة برشدي و ذلك لكونه عضوا في مجلس الشعب وكان متحدثاً لبقاً. وذو علاقات واسعة.
- أنا أثق في هاني. هو لها. وبالنسبة للعلاقات يستطيع الحصول على قائمة بهم والتواصل معهم. وأنا واثق من نجاحه في هذا.

قال نادر بسخرية:

- وأنا كنت مساعدك.

- كنت قديما. أما الآن

توقف على ابتسامة نادر الواثقة الساخرة غير المهمة. ترى ما سره ؟ هذه الابتسامة توحى بأن في رأسه مخططاً ما يثق في نتائجه بتغيير هذه الخارطة.

صمت لحظات قال بعدها :

- هل وقَّعتم أوراقكم ؟

جمع كلّ منهم الأوراق وهو يقول :

- العنصر الثاني في اجتماعنا.

صمت لفترة أثارت انتباه الجميع وهم ينظرون إليه في ترقب حتى قال :

- تقدم هاني بطلب إنشاء مساجد في المملكة.

عقد وحيد حاجبيه في غضب قائلاً:

- ما هذا يا عبد الله ؟ هذا الطلب مرفوض طبعاً. لقد قررنا قبل أن نضع حجراً

واحداً في هذه المدينة ألا نقيم فيها مسجداً ولا كنيسة ولا أي دار عبادة.

كل يعبد ربه في بيته. حتى تخلو مدينتنا من أي نزاعات دينية.

قال جابر مؤيداً:

- قرار صائب.

أردف نادر:

- فليس من حق أي عضو أن يقدم طلباً مخالفاً :

قال عبد الله وهو يريح ظهره على ظهر مقعده:

- من قال هذا؟ من حق أي عضو أن يقترح ما يريد. ويعرض وجهة نظره.
ثم نأخذ الأصوات. ونتخذ القرار الذي يرضي الجميع.

ثم التفت إلى هاني قائلاً:

- تكلم يا هاني واعرض وجهة نظرك.

اعتدل هاني في جلسته قائلاً:

- الدين يا سادة عقيدة تستقر في القلوب والعقول. والمسجد ما هو إلا مكان لفريضة لا يختلف عليها أحد. فكل ساكني المملكة جاءوا بعقائدهم كاملة. فعدم وجود المساجد لن يقيد عقائدهم بل سيثير غضبهم وحنقهم. ولا يوجد مكان في العالم بلا مساجد. فحيثما يوجد مسلم سيوجد منزل سواء شئت أم أبيت.

قاطعته وحيد:

- وما عيب الصلاة في البيت؟ المسجد مكان للتجمع. يسمح لكل ذي فكر أن ينشر فكره.

- أولاً الصلاة في المسجد فريضة على كل رجل مسلم قادر. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لا صلاة لجار المسجد إلا في المسجد." وجار المسجد هو كل من يسمع النداء. والأحاديث في ذلك كثيرة وأقوال العلماء كذلك. إن شئت

قاطعته وحيد بصوته الأشبه بالفحيح:

- لا أريد أدلة. لقد قلت قراري منذ أول يوم خططنا فيه لبناء هذه المدينة ولن أغيره الآن.

مال هاني للأمام معتمداً بمرفقيه على مائدة الاجتماعات قائلاً:

- لكل عمل جناحان لكي يكون ناجحا إخلاص النية لله عز وجل وموافقة العمل للسنة النبوية الشريفة .

صاح نادر:

- نحن نتكلم هنا عن بناء مدينة، عمل تجاري دنيوي لا عبادة.

اتسعت ابتسامة هاني قائلا:

- أعلم ذلك . ولتعلم أنت أيضا أن الأمر سيان. توفر النية الصالحة مع العمل الدنيوي البحت يجعل فيه أجرا وقربة إلى الله . وكذلك العبادة إن خالطها مصلحة دون أن تفسد النية الأصلية جاز ذلك. بدون تلك الأجنحة عمك فاشل. ثم هل تعلم سيادتك أجر باني المسجد؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من بنى.....

قاطع نادر بغلظة:

- كفى . أنا أعارض.

قال عبد الله بغضب:

- الرجل لم يُنه كلامه بعد.

اعتدل هاني مواجهها نادر بجذعه كله وهو يهتف بعصبية وصرامة:

- أولا هناك اختراع مشهور يبدو أن سيادتك لم تحط به علما بعد، ألا هو أدب الحوار. لا ينبغي أن تقاطع محاورك يا صديقي. فلتسمع ثم اعترض أو أعرض وجهت نظرك في النهاية.

اعتدل في جلسته مواجهها وحيد والتقط نفسا يحاول السيطرة على توتر أعصابه ثم قال موجه حديثه لوحيد :

- لا أدري كيف أتتكم هذه الفكرة. إن القاهرة يوجد بها 6 آلاف و327 مسجدا وزاوية، منها 3100 مسجد. أما محافظة الشرقية بها وحدها حوالي 15 ألف و 747 مسجدا وزاوية.
- قال وحيد بصرامة حازمة:
- لهذا كثر الإرهاب والمشاكل الطائفية.
- على العكس المساجد هي التي تصحح المفاهيم . ديننا القويم ينظم علاقاتنا بغيرنا من المسلمين وغير المسلمين وأمرنا بحسن المعاملة مع الجميع. وما انتشرت الفتن إلا بانتشار الجهل.
- نقل وجهه لنادر قائلا بنفس الصرامة وإن ازدادت حدة:
- ثم هل تظن أنك تستطيع حقا منع وجود مساجد في مملكتك هذه.
- رسم على شفثيه اتسامه خفيفة فيها استقلال :

- أنت واهم يا فتى. حاول الاستعمار الفرنسي منع الجزائريين من ممارسة شعائرهم الدينية ومن تعلم وحفظ القرآن الكريم وتعلم اللغة العربية، مستعملا قوة السلاح لمنعهم من ذلك، بل لجأ إلى تهديم بعض المساجد و تحويل أخرى إلى كنائس للمسيح ودير لليهود، قرر شيخ من مدينة اسمها البيّض جنوب غرب الجزائر يسمى "الشيخ محمد بن بحوص" أن يحفر باطن الأرض ليتخذ منها "مسجدا سريا فكان بناء هذا المسجد بمثابة التحدي الذي رفعه هذا الشيخ في وجه جبروت الاستعمار. وقد شهد خلال فترة الاستعمار الفرنسي تخريج 375 طالبا حافظا للقرآن الكريم، والتحاق عدد كبير منهم بصفوف الثورة التحريرية الجزائرية المجيدة، كما كان وقتها مخابأ للمجاهدين الجزائريين. بمعنى سيقم الناس المساجد شئت أم أبيت. فاجعلها بيدك وأحسن النية تأجر.





خرج فحيح وحيد باردا مقيتا:

- ما زلت عند رأيي . أنا أرفض .

احتقن وجه عبد الله بغضب في حين قال جابر بتشف وهو يرمق هاني
ببغض:

- وأنا أيضا أعترض.

نظر عبد الله إلى حامد يطلب موقفه . تردد حامد وتوترت أعصابه ونقل بصره
بين نادر وهاني . فمال نادر نحوه قائلا بهمس مهددا :

- لا تنس الشريط.

قال هاني محتدا:

- ليس لديك شيئا لتهدده به .

ابتسم نادر ساخرا :

- هو يعلم أي لدي شريط. سيعجب زوجته وأولاده كثيرا لو وصل لأيديهم الآن .

نظر حامد إلى عبد الله وأنامله ترتجف والعرق يتصبب على جبينه. فأوماً إليه أن يوافق ولا يقلق. فقال بصوت مختنق:

- أنا أوافق.

عقد نادر حاجبيه بغضب والتقط هاتفه واتصل بمنال وعبد الله يقول:

- وأنا أيضا أوافق.

قال نادر في الهاتف وهو يرمق حامد بغضب شديد :

- منال ! أين أنت ؟ حسنا . هل تذكرين الشريط تعرفين مكانه. أريده خلال دقائق معدودات في يد زوجة حامد بيك.

رمقه عبد الله بنظرة نارية قائلا بمقت:

- شيطان.

انكمش حامد في مقعده مرتجفا. وسالت الدموع من عينيه في صمت .

قال وحيد بغضب:

- ما العمل الآن ؟ ثلاثة مقابل ثلاثة.

ساد الصمت لعدة دقائق قطعه عبد الله بأسى:

- لم نجرب هذا الخلاف من قبل.

قال وحيد بغضب:

- والفضل لسيادتك.

ساد الصمت من جديد حتى قطعه نادر:

- عندي حل.

نظر له الجميع بتساؤل. فتابع وهو ينظر لهاني :

- نعقد مباراة بيني وبين هاني . إذا فاز نبي له المساجد. وإن فزتُ أنا

قال عبد الله معترضا :

- ما هذا المزاح ؟

قال حامد متهكما بصوته المستفز:

- وما الضير ؟ هذا حل جيد.

قال جابر:

- وأنا أيضا أوافق.

قال عبد الله موجهها حديثه إلى نادر:

- لقد هزمك هاني شر هزيمة وجعلك أضحوكة للجميع منذ شهر واحد. بل

وأدخلك السجن ولولا تدخلني لكنت تنام على الأرض هناك الآن.

احتقن وجه نادر بغضب وهو يقول:

- مادمت تثق في قدرات رجلك هكذا وافق، ولنر ما النتيجة . وأعدك أنها لن

تكون لصالحه.

التفت عبد الله إلى هاني قائلا :

- ما رأيك؟

عقد هاني حاجبيه بتفكير عميق ، والجميع يرمقونه بترقب إلى أن رفع رأسه قائلاً بتحد:

- وإن كان هذا عبث فمسألة المسجد أرقى وأهم من أن يحكم فيها تحد تافه كهذا ، ومع اعتراضى على هذه الطريقة البدائية لاتخاذ القرارات المصيرية إلا أنى أوافق. ملحوظة ، لا تكرر خطتك الفاشلة فلقد جربتها وفشلت . ركز على مهاراتك داخل الحلبة . بالمناسبة المباراة أيضا لها أجنحة ، إخلاص النية فأى رياضة ما هي إلا وسيلة لتقوية الجسم والعقل ليكونا على استعداد وقدرة على العبادة، وأيضا المهارة داخل الحلبة والتي لا تُحصَلُ إلا بالتدريب. ثم المنافسة الشريفة.

ابتسم نادر بظفر خالطه ملل قائلاً :

- جيد . المباراة يوم افتتاح المملكة في أول أبريل القادم . حاول أن تكف عن تقديم النصح لخصمك حتى لا يهزمك بسببه.

قال عبد الله بضيق:

- انتهينا من ذلك. النقطة التالية.....

توقف عن الكلام بغتة ، والتفت الجميع بدهشة إلى المصعد. حيث انبعث منه الصوت الإلكتروني إنذارا بوافدين جدد. قال وحيد بدهشة:

- ما هذا ؟ المفترض أن الشركة خالية الآن من الموظفين أنفسهم . لا يوجد إلا رجال الأمن.

توتر الجميع وهم يحدقون في الباب التي يُفْتَحُ ببطء ثقيل. و

وثب الجميع بفرع من مقاعدهم . إذ وثب من المصعد ثلاث رجال ملثمين في ملابس سوداء. أشبه برجال النينجا في أفلام الحركة. وكل منهم يحمل سيفاً

ضحماً. وثب هاني نحو الباب المؤدي لمكتب عبد الله حيث رحمة تنتظر . وثب أحدهم يعترضه شاهراً سيفه في وجهه هاتفاً بصرامة:

- توقف وإلا

لم يعره هاني اهتماما وكان الأسرع ففتح الباب وصرخ في الرجلين الذان يندفعان نحو رحمة التي تتراجع أمامهما في فزع:

- أنتما.....

توقف الرجلان شاهري سيفيهما في تحفز. انكشيت رحمة خلف هاني تقول مرتجفة وهي تنظر إليهما في رعب:

- من هؤلاء يا هاني؟ وماذا يريدون؟

رَبَّتْ هاني على يدها المرتجفة القابضة على عضده بحنان قائلاً وهو ينقل عينيه بين الرجلين في تحد وغضب:

- ألم تسأليني : "كيف ستحميني إذا حاول شخص ما الاعتداء علي الآن؟" ها قد جاء المعتدون.

أشار لهما أحد الرجلين بسيفه قائلاً بغلظة:

- هيا إلى القاعة أيها العصفوران.

قالت رحمة وهي تتشبث أكثر بعضده:

- وأنت قلت : "ولو كانوا مائة ياعمري . لن ينالوا منك شعرة. وفي صدري نفس يتردد . " فهل تستطيع؟

تحرك هاني ورحمة ملتصقة به ترتجف نحو باب القاعة قائلاً بصوت يسمعه الجميع بثبات :

- لا تخش شيئاً وأنا معك يا عزيزتي. اليد التي تمسك أقطعها.

وكزه أحد الرجلين في كتفه وهو يتجاوز الباب قائلاً :

- تكلم على قدرك. ما أنت إلا عصفور لو قبض أحدنا على عنقه بيده لسحقه.

لم يرد عليه هاني وهو يلج القاعة وينقل بصره بين جميع الوجوه ويتجه بخطوات ثابتة نحو عبد الله وباقي الأعضاء الواقفين ظهورهم للنافذة الزجاجية المظلة على الشارع وتحتل الجدار كاملاً. وقف هاني ورحمة بجوار الرجال المرتجفين وواجه الملتئمين وعبد الله يستجمع شجاعته قائلاً :

- ماذا تريدون ؟ يمكننا

تقدم أحد الرجال الخمسة وهو يهتف بغضب وصرامة :

- اصمت أولاً أخرجوا هواتفكم جميعاً دون كلمة . أخرج الجميع هواتفهم إلا هاني ورحمة تسأله مرتجفة:

- هل أخرج هاتفي ؟

اقترب أحدهم شاهراً سيفه بتحفز يلتقط منهم هواتفهم في حين قال هاني:

- لا يا سيدتي . لن يأخذ أحد هاتفك ولا هاتفي.

تناول الرجل هواتفهم . ووضع سيفه على عنق هاني قائلاً بغضب:

- ستخرج هاتفك و إلا أخرجته من جنتك .

ابتسم هاني ساخرًا:

- حقا ؟

ثم توجه إلى قائدهم هاتفاً :

- اسمع يارجل . نحن عندنا اجتماع مهم ولقد عطلتنا . هلا قلت ماذا تريد ورحلت أنت وكلابك.

تطلع إليه الرجل لحظات ثم اقترب منه بصمت حتى صار أمامه مباشرة ومال نحوه حتى لفحت أنفاسه وجه هاني فانكمشت رحمة خلفه أكثر وزاد ارتجافها وتعلقها بذراعه . ثم قال بوعيد:

- أريد عنق عبد الله بيك والمال الموجود في الشركة الآن . وأيضاً لسانك.

ابتسم هاني غير مباليا بالسيف على عنقه . وقال بتهكم:

- من حقاك أن تطلب كما تشاء . حرية الطلب مكفولة للجميع . وكذلك حرية الرفض . يؤسفني أن أبلغك أن طلباتك مرفوضة . يمكنك الط ...

قبض قائد الملتزمين على تلابيب هاني وجذبه بعنف صائحا:

- من تظن نفسك يافتى ؟

جذبتّه جعلت ذبابة السيف تغوص في عنق هاني . فسال دمه على عنقه وهو يقول :

- لقد بدأ صدري يضيق بكم . وهذا إنذاري الأخير . ارحلوا بسلام قبل أن

قهقه الرجل ساخرا وتخلّى عن ملابس هاني ثم نظر إلى عيني رحمة قائلا:

- ثقّتك بنفسك هذه جعلتني أزيد طلباً .

صمت لحظات دون أن يرفع عينيه عن رحمة . حتى توارت تماما خلف هاني فقال:

- هذه الفتاة . لماذا تخفين وجهك يا ذوات العيون الجميلة هل يتناسب جمالها مع.....

تحرك هاني فجأة فمال برأسه للخلف ويده تدفع السيف بقوة في وجه زعيم الملتمين. تحرك الثلاثة دفعة واحدة منقضين على هاني. قبض هاني على ذراع صاحب السيف الذي دفعه في وجه الزعيم وجذبه بكل قوته وضرب به الزعيم . وبينما هو يسقط دار هاني حول محوره دون أن يتخل عن الرجل الذي فقد التحكم في جسده تماما، وهو يتحرك مجبرا مع هاني الذي تخلى عنه في مواجهة رفاقه فاصطدم باثنان منهم وسقطوا جميعا عدا واحدا، واصل انقضاضته. وهوى على رأس هاني بسيفه . تراجع هاني متفاديا الضربة. حدث كل هذا في ثانيتين حدق الأعضاء ورحمة في المشهد بذهول عاجزين عن اتخاذ قرار معين . وتوالت ضربات الرجل على هاني الذي راح يتفادها برشاقة ومهارة وثقة مبتعدا عن رفاقه. وعندما نهض الرجال الأربع، وهموا بالانقضاض، كان هاني قد وثب فوق منضدة الحاسوب والتقط السيف المعلق على يمين شاشة العرض السينمائية الكبيرة وتلقى ضربة عليه. صاح زعيم الملتمين بصراحة:

- توقف.

تراجع الملتئم الذي كان يهاجم هاني شاهرا سيفه بتحفز. فقال هاني ساخرًا:

- رأيتم . أنا لست عصفورا.

ثم أردف في قوة وتحذ:

- أنا نسر جارح.

قال زعيم المثلثين وهو يتحرك في القاعة التي صارت فوضى وقد انقلبت مائدة الاجتماعات والمقاعد التي كانت تحيط بها:

- جيد أيها النسر الجارح. ولكن هل تتخيل أن تهزم بسيف واحد خمسة سيوف.

قال هاني وهو يتقدم خطوة بثقة متخذاً وضع استعداد :

- أحب أن أجرب.

- عندي اختيار أفضل. أنا لا أريد إلا عبد الله يمكنكم أن ترحلوا جميعاً بأمان .

صمت هاني يفكر بعمق وساد الصمت وقلب عبد الله يرتجف بقوة أما الباقين فقد تسلل أمل لقلوبهم بالنجاة إلا نادر الذي كان يتظاهر بالخوف. وإن ثار في قلبه القلق خوفاً من فشل خطته وهو يراقب هاني وهو يقول بثبات أذهله :

- وما رأيك في تعديل بسيط ؟ يرحل الجميع وأبقى أنا وعبد الله بيك.

صاح فيه زعيم المثلثين بغضب وهو يواصل تحركه مقترباً من عبد الله ومن معه:

- أنا لا أمزح هنا . وأنت لا تملك خياراً.

قالها ووثب نحوهم فتراجعوا صارخين بفرع فالتقط عنق رحمة بذراعه فطوقه من الخلف بيسراه ووضع سيفه على عنقها من الأمام قائلاً:

هيا ارحلوا جميعاً قبل أن أغير رأيي وأبدأ بهذه العصفورة.

اشتعلت عيني هاني غضباً وهو يصيح:

- لقد وعدت وأنا أفي بوعدتي دائماً.

لم يفهم أحد ماذا يقصد هاني. في حين تحرك نادر ومن خلفه جابر ثم حامد ووحيد بتردد . وفي عينيه نظرة لعبد الله معناها: - اعذرني لا أملك ما أستطيع فعله. قال زعيم المثلثين وهو يشدد ضغط ذراعة على عنق رحمة التي تبكي وترتجف كعصفور بين أنياب قط:

- ماذا تقصد ؟

صمت هاني مكتفياً بنظرة غضب نارية متحدية حتى ولج الرجال المصعد. فقال وبابه يُغلق :

- أقصد أن هذه آخر مرة تستخدم فيه ذراعك اليسرى .
- أنت تتبجح كثيرا . هذه آخر فرصة لك إن كنت حريصا على حياتك وحياة عصفورتك. إن ترحل الآن تجدها خلفك تماما.

أطرق هاني مفكرا وهو ينظر بين قدميه وكأنه لا يشعر بوجودهم . وارتجاف عبد الله يشتد. هل سيتركه هاني لهم؟ لقد تخلى عنه ابنه وأصحابه . فماذا سيفعل هاني الذي لم يقابله إلا من سويغات قليلة؟ والذي سعى من قبل لإيذائه من أجل ابنه. من سيختار هاني سيده التي يعمل لديها أم هو؟ ماذا يمكن أن يفعل وحده أصلا مع هؤلاء الخمسة؟
و

شهق عبد الله بفرع عندما تحرك هاني فجأة ملقيا سيفه. وتناهى إلى مسامع الجميع صوت عظام عَضِدِ زعيم المثلثين تتحطم ونصل السيف يخرقها لينفذ من الناحية الأخرى. فانطلقت من صدره صيحة ألم رهيبه وهو يتراجع برد فعل طبيعي ولكن عنيف من شدة الألم . اصطدم بالجدار الزجاجي الذي انفجر بدوي عنيف صم الآذان . اختل توازنه . لم يجد ما يتشبث به إلا رحمة التي تصرخ بارتياح. ولضآلتها وضخامته سقط والزجاج يسقط فوق رأسه وعنقه وصدره ورحمة التي جذبها

معها خارج نافذة الطابق الرابع. وهي تطلق صرخات رعب وألم وقطعة زجاج تخترق كتفها.

(4) النسـر

وأطلق سهمه، أصاب وديعا
فسقط على الأرض صريعا
مكسور الجناح مذعورا
وخلفه الغراب مسحورا
ينتف ريشه بسرور
لا يلتفت إلى أنيه المبتور
أقبل الغلام هاتفا يعدو
هيا دع لعبتي واغد
وثب الماكر بينهما ، هتف بحزم قاطع
احذروا واتقوا شر الجائع
إذا رأى لحما ماتع
فما هو عنه بقانع
فاختلفوا من يأخذ المسكين
ثم اتفقوا أن يحضروا السكين

عندما طوق زعيم الملتئمين عنقها ، ووضع سيفه، عليه ارتجفت وبكت في رعب وألم . وعجزت عن المقاومة بل عن التنفس نفسه. وعينيها تستجد بهاني. شهقت بارتياح عندما ألقى هاني سيفه نحوها . تصورت يقينا أن

السيف سيخترق رأسها. أغمضت عينيها وتلاشت بقايا نفس في صدرها. واشترك صوت عظام تتحطم بجوار أذنها تماما مع صرخة ألم بجوار الأذن الأخرى زلزلت كيائها كله. وقبل أن تفيق أو تفهم جذبها الرجل للخلف، ثم فرقة دوت في أذنيها كرعء مصدره فوق رأسها مباشرة . فانتفض قلبها في ذعر عصفورة تنغرت أنياب القط في لحمها حقيقة لا تشببها . فلقد اخترقت قطع زجاج كتفها الأيمن . صرخت باسم هاني في ألم وزعر فاتحة عينيها والأرض تتلاشى من تحتها. ثم فهمت وجسدها يعبر النافذة واستوعبت ما يحدث. هذه هي السماء بسحبها ونجومها . إن جسدها يتجاوز النافذة . إنها النهاية.

لم يتوقع هاني ذلك . ألقى سيفه و بعدها ألقى جسده في اتجاه آخر، نحو الرجال الأربعة . وانتبه لما حدث فتوقف فجأة فاختل توازنه والتفت إلى رحمة، فرأى جسدها يطير بفعل جذبة الرجل الذي صار خارج النافذة فعلا . حفظ توازنه بصعوبة و سيف يشق طريقه هاويا على رأسه. واندفع بلا تردد نحوها ونصفها العلوي يتجاوز النافذة. وشق السيف ملابسه وجلد ظهره. بيد أنه لم يشعر بذلك وهو يرى جسدها يثب من النافذة وزعيم المثلثين يتشبث بملابسها بكل قوته لا إرادياً. وانطلق بكل ما أوتي من قوة . وبلا أي تردد وثب مخترقا النافذة التي لا يزال دوي تحطمها يتردد في الأذان. حلق في الهواء كالنسر. أو هكذا خيل لعبد الله والمثلثين الذين اتسعت أعينهم بذهول وعدم تصديق. حلق في الهواء بلا أجنحة، إنقطة رحمة وضمها إلى صدره بقوة وعينيها تمسحان الأرض التي بدت أسفله من ارتفاع أربعة طوابق. إفريز صغير عليه زهور على حافة النافذة. أشجار بجوار المبنى مباشرة يهويان وزعيم المثلثين يسبقهما نحوها. يليها سيارات واقفة. بالتأكيد خاصة بالمشاركين في الاجتماع. بعدها الطريق الممهدة الخالي .

اتخذ قراره وحدد موضع الهبوط. ضرب الإفريز بقدميه بكل قوته ، لينطلق جسده حاملا جسد رحمة متجاوزا الأشجار ، متجهاً نحو سيارة فخمة ضخمة

تلمع تحت أضواء أعمدة الإنارة على جانبي الطريق الممهّد وكأنها خرجت
تواً من مصنعها.

شعرت رحمة بضمة هاني التي انتزعتها من رعبها . ففتحت عينيها بذهول
فطالعتها وجه هاني الذي ينظر للأسفل بتفكير عميق . ونست أنها تسقط نحو
النهاية . شعرت أنها تطير فوق جناحي نسر عملاق . حتى هيء إليها أنها
ترى جناحيه . أغمضت عينيها بسعادة سرت في جسدها كحلم جميل . و

الصدمة . ارتجاج زلزل كل خلية في جسدها كصفعة على غفلة في لحظة هيام .
دوي هائل خليط من تهشم زجاج ، واصطدام معدن ، وآهة ألم مكتومة شقت
قلبها شقاً . واصطدم جسدها بالأم خفيفة . لقد نجت وبلا إصابات تُذكر . فتحت
عينيها غير مصدقة . رأت وجه هاني وهو يثب من فوق السيارة التي تحطم
سقفها تماماً يصرخ الألم في ملامح وجهه ولكن بلا صوت . إلتقطها بسرعة
من فوق سقف السيارة الذي صار كحفرة من معدن . وتواريا تحت صف
الأشجار بأنين مكتوم . وهمس في أذنها بألم :

- هل أنت بخير يا حبيبتي؟

همست بانبهار:

- ما مرّت علي لحظة منذ إلتقط صدري أول أنفاسه حتى هذه اللحظة،

أسعد من هذه اللحظة . ولكن

وضعتها برفق على مقعد مجاور للشجرة يرنو إلى عينيها بحنان وهي تقول :

- ولكنك مصاب .

همس من بين أسنانه بألم صارخ:

- ما دمت بخير فأنا بخير .

مزق القلق نبرات صوتها وهي تتمتم بأشفاق:

قالها ووكز عبد الله بالسيف في صدره بقسوة وكزة ألمته وأدمته.
انتفض عبد الله بفزع وزعر دون أن ينطق. والتفت إلى الآخرين الذين اقتربوا
بدورهم.

هوى أحدهم بسيفه على ذراع عبد الله فشق ذراعه بجرح غائر، صرخ له
بألم . وركله آخر في ساقه بقوة صائحا:

- لماذا لا تتكلم؟

سقط عبد الله على يديه و أردافه. حاول أن يستجمع شجاعته التي تبخرت.
إنها النهاية بالتأكيد. وهو يقول:

- ستقتلوني على كل حال. فلماذا أخبركم؟

وضع أحدهم ذباية سيفه على فخذه قائلا بقسوة وصرامة:

- نعم سنقتلك إن أخبرتنا. وسنمذقك إربًا إربًا و أنت حي إن لم تخبرنا. ما
رأيك؟

قالها وضغط على سيفه ليغوص في فخذه . صرخ عبد الله بألم والرجل
يواصل الضغط. وصورة هاني يثب من النافذة كنسر بلا أجنحة لا تفارق
خياله. ولكنه ليس نسرا ولا رجلا خارقا . مجرد شاب متهور ضحى بحياته
من أجل إنقاذ امرأة . إن نجح في إنقاذها مات هو . ومن بين ألمه قال لنفسه:

- أين أنت يا هاني ؟ لماذا تخليت عني هكذا ؟ ألم يكن من أفضل أن تبقَ ؟
لربما كان هناك أمل. ألم ت.....

- هل افتقدتموني؟

التفت الأربعة إلى هاني الذي يدخل من باب مكتب عبد الله يجر ساقه اليمنى
المغرقة بالدماء وقد خلع الجاكيت وبدا بقميصه الأبيض ونظرة التحدي

الواثقة في عينيه ، كأنه فارس حقيقي. امتلأت عيونهم بالذهول والخوف وأحدهم يقول بصوت فضح الخوف الوليد في قلبه:

- أنت؟! كيف نجوت من السقوط؟ وكيف تجاوزت زملاءنا الثلاثة في قاعة الاستقبال؟!

اعتدل عبد الله في جلسته بعد أن انتزع الملمث السيف من فخذة وانتعش الأمل في صدره. وانبهاره وثقته في هاني وحب له أيضا يتجاوزن كل حد تخيله قبل هذه اللحظة. وتعلقت عيناه بهاني بانبهار وهو يتقدم بثقة رغم كونه أعزل وبساق مكسورة تواء. ويقول ساخرا وإن بدا الألم في صوته:

- لقد قلت لكم أي نسر . والنسور لا تسقط . النسور تطير. وتقتنص فريستها بسرعة خاطفة.

تحفز الأربعة و شرعوا في تطويقه وأحدهم يقول :

- لقد عدت لتموت إذن .

- ليس الموت من مخططاتي اليوم ربما في يوم آخر .

قالها ثم هجم على أحدهم الذي رفع سيفه ليضرب به عنق هاني. متى حمل هاني أحد الكراسي الواقعة أرضاً؟ ومتى رفعه؟ لقد وجدته فجأة في وجهه. وثب هاني من فوقه ليصل للمكتبة . وتناثرت الكتب في وجوههم وحدا تلو الآخر كقذائف مدفع . تراجعوا لحظات. وعندما استعدوا كان هاني يقف في مواجهتهم بسيف زميلهم الذي ألقى هاني الكرسي في وجهه. قال هاني بأسلوبه الساخر:

- كم هي مفيدة الكتب !

استعدوا للإنقضاض ثم تسمروا عندما دوى صوت رصاصتان متعاقبتان. وعلى الرغم من كون الصوت بعيد، إلا أنه كان لكلا الطرفين يحمل إنقلاباً في الموقف. ظن الملمثين أن الشرطة قد وصلت المكان، وأطلقوا النار على

زملائهم. أما هاني فكان يعلم ما حدث. عندما ترك رحمة واتجه إلى مدخل المبنى قابل أحد الملتئمين خرج ينظر سبب الصوت العال . تغلب عليه هاني واستولى على سيفه بعد أن أفقده الوعي. ثم اقتحم قاعة الاستقبال. كان الملتئمين يهددان حامد ووحيد ونادر وجابر ورجلي أمن بسيفيهما. ومع انقضاضة هاني تحرك رجلي الأمن . وانتصرا مع هاني على الملتئمين. تنهد هاني بارتياح لسماعه صوت سيارة رحمة تغادر. صعد لإنقاذ عبد الله وتركهما يقيدان الملتئمين الثلاثة . ونادر وجابر و حامد ووحيد يسارعون بالخروج من المبنى.

ما سبب الطلقتان إذن ؟ أكيد ملثم آخر. وهذا يعني ضرورة الحركة. وهذا ما قرره فريق الملتئمين . فانقض ثلاثة على هاني وأحدهم على عبد الله الذي كان جالساً على الأرض تسيل الدماء من ذراعه وفخذه . و ألقى هاني سيفه بلا تردد ليخترق ظهر الملتئم الذي يهاجم عبد الله. وتراجع إلى المكتبة و يلتقط منها مجلدين وراح يتفادى ويضرب بالمجلدين حتى وصل إلى السيف المعلق بجوار شاشة العرض السينمائية، ورأسه تغلي من ألم ساقه المكسورة. وثب يلتقط السيف . وسقط . لم يستطع الإستقرار على قدميه. وهوت عليه طعنة ثم أخرى ثم ثالثة . تفادى اثنان وشق السيف الثالث عضلة عضد ذراعه الأيسر . تلقى طعنة رابعة على سيفه. قبل أن يهب واقفاً رغم آلامه. وانتهت المعركة خلال دقيقة واحدة.

فك الألثمة وقيدهم بها بأقصى سرعة تسمح بها آلامه. نهض عبد الله بصعوبة وألم، غير مصدق أنه نجى وقال بألم وانبهار:

- لا أستطيع أن أجد كلمات تعبر عن شكري لك.

أعانه هاني على السير على الرغم من أن إصاباته أشد و هو يقول بألم ومرح :

- لقد قلت لك ياسيدي . أنا ذراعك الأيمن .

التقط أحد السيوف و عبد الله يقول بامتنان كبير:

- لقد ضحيت بحياتك عندما سقطت السيدة رحمة من النافذة لإنقاذها .
- ساعتها تمنيت لو كنت رجلي أنا . ثم عدت من أجلي وساقك مكسورة.
- وضحيت بحياتك لإنقاذي عندما ألقيت سيفك على الذي يهاجمني و
- تركت نفسك أعزلا في مواجهة ثلاثة سيوف. هل يوجد مثلك في هذه الأيام .

ولجا المصعد وهاني يقول بمرح محمل بالأمه:

- ياااااااه . يوجد مثلي كثير ياسيدي ، ولكن لا يجدون فرصة لإظهار ذلك.
- إذا أردت أحضرك جيشاً.

ضغط هاني زر الهبوط وعبد الله يقول :

- قوئك هذا مزاحا أم جدياً.
- إنها حقيقة يا سيدي . نحن مسلمون لا يهود ولا نصارى ولا غير ذلك.
- نحن في مصر لا أمريكا أو أوروبا.

قال عبد الله بحسرة شديدة :

- ابني مسلم مصري أيضاً. وتركني وهرب بجبن . لم يبذل أية محاولة .
- بل أظن هذا كله من تبيره . كان يحاول قتلي لولا وجودك ال ي حال دون ذلك.

بدأ المصعد رحلة هبوطه وأرخی هاني ساقه بآلم شديد وهو يضغط على ضروسه ليكنتم آهة ألم كادت تفر من بين شفتيه:

- فتش يا سيدي عن أسباب أي مشكلة ، تجدها البعد عن دين الله. تُربي
- ابنك بعيدا عن دين الله وتطلب منه برك . أنى تُحصّل ذلك . تضع البذرة
- في أرض بُور . تجلس جوارها دون أن ترويهما بقطرة ماء. ثم تطلب
- منها أن تطرح ثمراً طيباً. هل هذا معقول؟

- معك حق يا ولدي . بارك الله فيك . لقد أرسلك الله لي في الوقت المناسب.

تحفز هاني واعتدل واقفا ملقيا آلامه خلف ظهره عندما وصل المصعد للطابق الأرضي:

- يكفي يا سيدي. لقد بدأ الغرور يتسلل إلى صدري .

قالها وشهر سيفه والباب يفتح. ثم تقدم بحذر وألم يجر ساقه متلفتا حوله . رأى رجلي الأمن مخرجين في دمائهما، والملثمين الثلاثة مقيدين كما هم. والقاعة خالية من أي أحد آخر . أسرع إليهما على حذر فزعاً يفحصهما:

- إنهما على قيد الحياة . ولكن إصابتهما خطيرة . أين حرسك الشخصي ياسيدي؟

تلقت حوله بحذر وهو يخرج هاتفه ويطلب الإسعاف ثم الشرطة في حين قال عبد الله بوجل متلفتا حوله.

- لم يعد لدي إلا حارس واحد وها هو .

قالها وهويشير إلى أحد الرجلين. ثم أردف:

- الذي قتلها أكيد لا يزال هنا. ويتربص بنا.

ثم احتفى في هاني بخوف يتلفت حوله قائلاً بصوت مرتجف :

- ماذا سنفعل؟

انتصب هاني قائلاً بحزم:

- سنغادر. ليس أماننا حل آخر. لو بقينا سيهاجمونا من حيث لا نحتسب.

- ولو غادرنا سيهاجمونا من حيث لا نحتسب أيضاً. ولكن ستكون لدينا فرصة.

تحرك هاني نحو الباب بحذر وصمت، وعبد الله خلفه. خرجا من باب المبنى الزجاجي. أشار عبد الله إلى سيارته قائلا بهمس:

- لقد رحلوا جميعًا. لم تبق إلا سيارتي.

تحرك هاني نحو السيارة بحذر وعيناه لا تترك شيئًا حوله لا تفحصانه حتى وصلا إلى السيارة فوجدوا إطاراتها الأربعة فارغة من الهواء.

سارا في ممر طويل ممهد للسيارات والمارة، على جانبيه حديقة كبيرة، يقود إلى بوابة الشركة الرئيسية. ولأول مرة في حياته يشعر هاني بهذا الرعب. الليل مازال في بدايته. هذا هو وقت أذان العشاء. ولما كانت المدينة جديدة وبلا مساجد. بدا الصمت كقلب الكافر.

دوى طلق ناري انتفض له الاثنان برعب. وسمعا صفير الرصاصة يمر بالقرب منهما. قال عبد الله بمرارة وصوت مرتجف:

- اهرب يا هاني. يبدو أنه لا مفر. وهذا القاتل يريدني أنا. اهرب يا بني.

جذبه هاني بقوة صائحا :

- كلا يا سيدي. قد نموت. ولكن لن أموت مستسلما أبدا.

قالها وانطلق يعدو يجذب عبد الله معه. يحميه بجسده. وانطلقت رصاصة أخرى وهو يعبر البوابة الرئيسية أصابت فخذه اليمنى حيث الساق المكسورة. سقط هاني أرضا وهو يصرخ بألم. انحنى عليه عبد الله بفرع يفحص صدره ورأسه صارخا :

- هل أنت بخير يا هاني؟

قال هاني بابتسامة شاحبة :

- لا تخف يا سيدي صاحبنا لا يجيد التصويب. وهو داخل الشركة ونحن خارجها الآن. هيا بنا.

قالها وهب واقفا بألم شديد، واندفعا بمحازاة السور من الخارج، وأسرع الخُطى، وعبد الله هو الذي يساعده . دق جرس هاتف هاني المحمول فتناوله من جيبه . وفتح الخط هاتفًا:

- شهاب . أين أنت يا صديقي أحتاجك بشدة. حقًا؟! أسرع بالله عليك. لقد خضت معركة رهيبة . و أنا مصاب بشدة . وشخص يطلق علي النار. اعط الهاتف لقائد الأمن وعبد الله بيك سيكلمه. أعطى الهاتف لعبد الله الذي صاح بصرامة:

- دعه يدخل يارجل . وتعال معه وكل من تستطيع إحضاره من رجال الأمل.....

برز فجأة من خلف شجرة ملثم آخر ولكن هذا كان يرتدي بنطال جينز ضيق وجاكيت من الجلد الطبيعي بخلاف المثلثين السابقين . كما أن ما يستخدمه كلثام لم يكن قطعة قماش سوداء. كان كوفية بنية اللون. ولم يكن يحمل سيفًا. وإنما قبضة كالمطرقة هوى بها على صدر هاني فألقاه على ظهره يسعل بشدة. وآلام جراحه وكسر ساقه تصرخ بأعنى ما فيها. وسقط سيفه بعيدا عن يده . ورغم آلامه والدوار الذي يحاصر عقله، لم يتسلل اليأس إلى صدره . وأرسل عينيه تدرسان موقفه . خلفه ملثم بمسدس يختبئ خلف البوابة يستعد لإقتناص روحه. وهذا الضخم يشاركه الرأي . وقواه تخور كل لحظة . تراجع عبد الله مزعورًا. وانقض الضخم على هاني بركلة في وجهه أودعها كل قواه. واستجمع هاني ما بقي له من جهد وتفادها وشهر سيفه وهو يدور حوله ليقف بجوار عبد الله ويصبح المثلث الغريب بينهما وبين صاحب المسدس . فقال لعبد الله بصرامة:

- انطلق بأقصى سرعتك.

- لن أتركك وحدك.

صاح هاني بصرامة لم يملك عبد الله أمامها إلا الإنصياع التام و الفوري:

- انطلق الآن . هيا .

ولأول مرة ربما في حياته كلها يصرخ فيه أحد بأمر ويطيعه هكذا . انطلق عبد الله على الفور يعدو بكل قواه . وهو يدرك شيئا واحدا أن هاني انتهى . وبقائه لن يعني إلا انتهائه أيضا . وهروبه قد ينقذه وقد ينقذ هاني أيضا لو وصل إلى من يستطيع المساعدة . أدرك هاني أن هذا الرجل لا يريد عبد الله كالسابقين . لو أراد له لناله في هجومه المباغت . أما المختبئ يريد هانا معاً . فموضعه الحالي معرقل للمختبئ فأراد أن يحافظ عليه . فحرك سيفه في الهواء . حركات دفاعية تمنع خصمه من الوصول إليه ولا تغير موضعه . المشكلة الوحيدة قواه التي تتلاشى تدريجيا . والدوار الذي يضيق حصاره على عقله شيئا فشيئا . وبدأت الصور تتراقص أمام عينيه . والمصابيح كخيوط ضوء تتلوى .

وفجأة شعر بضربة في قبضته أفقدته سيفه واتزانه . وأخرى في وجهه وثانية وثالثة و أظلمت الدنيا أمام عينيه . وسقط فاقدًا الوعي .



أغلقت الباب خلفها وهي تنتفض كعصفور بلله المطر . ضغطت على مفتاح الإضاءة ليغمرها الضوء وتستشعر أطرافها المرتجفة الدفء . لم تكن لتشعر بالأمان في مكان منعزل كهذا في أي ظرف آخر . أما الآن فالوضع يختلف . لا تصدق أنها لا تزال على قيد الحياة تتنفس . ألقت نقابها وخمارها على أريكة وثيرة وهي تلقي بجسدها جوارهما في إنهاك . وعلى الرغم من ألم جرح كتفها الذي راح ينهش في ذراعها كله، إلا أن كل ما شغل تفكيرها في هذه اللحظة، هاني . هل سيتمكن من مواجهة المثلثين وإنقاذ عبد الله بساقه المكسورة وجرح ظهره . هل سيعود لها سالماً . أم أن مقدورها الشقاء ؟ سألت دموعها حارة على خديها عندما تخيلت أن تفقده . هل يمكن أن تواصل حياتها بدونها . شعرت بقلبها يرتجف في صدرها ، حتى كاد ينخلع من بين ضلوعها للفكرة . فرفعت كفيها إلى السماء قائلة بضراعة وبكاء:

- يا ربي يا رحيم . يا مجيب السامعين. نج هاني و أعدہ سالما . وانصره
على من عاداه. واجعله زوجا لي يا أكرم الأكرمين. واجعل السعادة
رفيق دربنا. واجمعنا في الدنيا على طاعتك . واجمعنا في الجنة
برحمتك.

غمرها الإحساس بالسكينة والاطمئنان، فنهضت إلى الحمام . اغتسلت
وضمّدت جرحها وتوضأت. ثم صلت العشاء. دق جرس الباب وهي في
التشهد الأخير. دق قلبها وانتفضت روحها . أنهت صلاتها وهرولت إلى الباب
بلهفة. وتوقفت أمام الباب ، لم ترتد نقابها. ترددت . شوقها ولهفتها يحركهما
قلقها يدفعانها لتفتح الباب متجاهلة أن ير هاني وجهها. وماذا في ذلك ؟ إنه
شاب عفيف متدين ويريد الزواج منها . ولولا كونها في شهور العدة لكانا
زوجين الآن أو على الأقل خطيبين. مدت يدها ثم توقفت على المقبض. كلا
هذا لا يجوز . مُحَرَّمٌ حتى لو كانا مخطوبين. وهي تريده . ونِعْمُ اللهُ لا تحصلُ
إلا بطاعته. عادت جرياً إلى الأريكة حيث نقابها. وارتدته وهي تعود عدواً
إلى الباب. وارتدّت كالمصعوقة عندما فتحت الباب ورأت الطارق.

دفع جابر الباب بغلظة وقسوة عندما حاولت إغلاقه في وجهه. قالت بصوت
كالصراخ :

- أنت؟! ما الذي أتى بك هنا؟ وماذا تريد؟

دخل وأغلق الباب خلفه بقوة قائلا :

- جنّت أعاين ممتلكاتي.

تراجعت برعب وقلبها ينبض مرتجفاً :

- تُعَايِنُ ماذا؟! ليس لك ممتلكات هنا.

تقدم مبتسماً وكرشه الضخم يرتج أمامه، يتأمل الأثاث الفخم بجشع قائلا
بشراهة:

- كل شيء هنا ملكي . بما في ذلك أنت .

تراجعت أمامه مرتجفة قائلة بصوتٍ خرج منها مرتجفاً برغم محاولتها جعله متماسكاً:

- لقد تقاسمنا الميراث . وكل منا أخذ حقه.

اختلفت ابتسامته وهو ينظر في عينيها بغضب:

- هل ظننتي أنني سأترك لك أموالٍ وأموال أخي تذرنيها كما تشائين؟
تصطادين غندورا صغيراً تضعين أموالٍ بين يديه يتمتع بها . وابنتك هي الأخرى تفعل المثل .

ثم ارتفع صوته أكثر وهو يقترب منها:

- أنتِ وابنتك في وهم كبير.

تراجعت وهي تقول مذعورة :

- تأدب وأنت تتكلم عني أنا وابنتي . إند.....

ألقي في وجهها الصور التي أحضرها له رجاله. فقطعت جملتها وتناولت الصور من فوق الأرض وتأملتها بذهول مصدومة بما فعلته ابنتها و هو يصرخ في وجهها :

- لقد نسيته ما قلته لك من قبل. وجئت الآن لأذكرك بموعد زواجنا .

استجمعت شجاعته وإن ظل صوتها مرتجفاً باكيًا:

- مستحيل . وإن كان هذا آخر يوم في عمري.

ابتسم بتهكم قائلاً:

- تحلمين بفارس أحلامك ، يحملك على حصان ويطير.

جلس على الأريكة ووضع ساقياً فوق أخرى قائلاً بسخرية:

- فارس أحلامك يا أميرتي في عداد الموتى . لن يمكنه أبداً التغلب على
البلطجية الذين اعتدوا علينا في الشركة . وهو يظن نفسه الرجل
الخارق. وإن انتصر عليهم سيجد رجلي في انتظاره سيقضي عليه،
وسينسب ذلك للمعتدين.

قالها وراح يقهقه مستفزاً. وفتت هي ترتجف وتبكي لا تدري ما تقول أو
تفعل . تتمنى لو تنقض عليه فتمدِّقه بيديها. قال وهو يميل للأمام:

- هيا اخلي هذا النقاب واصنعي لنا كوبين من الشاي. ما عاد أمامك إلا
الإنصياح لأوامري.

بذلت مجهودا يفوق قدراتها لتقول من بين دموعها:

- هاني منصور بإذن الله وحده. وأنت لن ترَ إظفراً مني ما حييت.

نهض بغضب مندفعاً نحوها فتراجعت مذعورة وهو يقول:

- ومن سيمنعني ؟ أنا وأنتِ وحدنا هنا. ولو صرختِ ومعكِ مائة امرأة ما
سمعتك أحد. وصاحبك

اصطدم ظهرها بالجدار. وقف أمامها مباشرة قائلاً بوحشية:

- مشكلتك أنك تجهلين من أنا.

- ومشكلتك أنت أيضاً أنك تجهل من أنا.

جاء دور جابر لينتفض برعب فيهتز كرشه الضخم وهو يلتفت بفرع إلى
مصدر الصوت. وكاد يسقط على وجهه ، وهو يقول بفرع:

- أنت ؟! كيف كيف

أسرعت رحمة إلى هاني بكل لهفتها وفزعها تحتمي به. لقد صار هذا الفتى
هو حصنها الحصين. وتبعته كظله هو يتقدم يعرُج والدماء تغطي ساقه
وذراعه و يقول متهكما:

- هل أكلت الصدمة لسانك؟

قال جابر بتوتر:

- لقد جئت فقط ل.....

أكمل هاني جملته:

- تذكرها بتهديدك ، وحثمية الزواج منك ، أو بيعك نصيبها في الشركة.

هذا معلوم. ومرفوض. وها قد انتهت الزيارة. هيا تفضل بالخروج.

اشتعل جابر غضبًا فصاح ملوحًا بيده في وجه هاني الذي صار على بعد خطوات منه:

- لقد تبجحت كثيرا يافتى. تطردني من أملاكي؟

ثم التفت إلى رحمة مستطردا:

- ولِمَا لا وقد وضعت الأميرة رحمة كل أموالى تحت يديك تتصرف فيها

كما يحلو لك. ولكن....

لوح بسبابته في وجه هاني مهددًا:

- هذا لن يدوم طويلا . سيعود كل شيء لنصابه الصحيح.

- فعلا .. يجب أن تعود الأمور لنصابها الصحيح.

التفت إلى مصدر الصوت بفرع وذهول. ليتأكد من صاحب الصوت غير مصدق , واتسعت عيناه في ارتياح وعبد الله يلج بساقه المصابه المنزل .



(5) دهَاء

انتفض تحت النصل العصفور

أو هكذا ظنوه من فرط الغرور
 بَيِّدَ أَنَّهُ كَانَ مَلِكَ النُّسُورِ
 أطاح سلاحهم بجناحه المكسور
 وصاح شق صياحه الفضاء
 فأقبل أصحابه يحجبون السماء

جالس هو إلى شجرة وارفة الظلال ومد الساقين. تجلس هي جواره، تواجهه جالسة في وضع التشهد في الصلاة، متلامسين متشابكي الأيدي. يتهامسان بأنهار من المشاعر الفياضة. يغوص تارة في بحور عينيها الزيتونية. وتارة يطوف بين أهدابهما مسحورا. ثم يحلق بعينه على سهول وجهها المرمرى بوردية الشفق. يعبر فوق أنفها الشامخ برقة وجمال. ويهبط على ضفاف شفيتها التي تتحرك بكلمات رقراقة تذيب الصخور. يداعب النسيم شعرها الليلي الحريري، يتموج و يتطاير فيحمله معه ليحلق في الهواء منتقلا من شعرة إلى شعرة ينزلق معها بسعادة طفل في زلاقة تطوف فوق أنهار السعادة. حتى يسقط منها في بحور عينيها من جديد. ويبدأ رحلة جديدة في عالم وجهها.

ثم برزت أصوات غريبة. وشعور بالبرد والألم يتسلل في عروقه وعظامه. وراح كل ذلك يعلو وجنَّته تخبو. وبدأ يشعر بما حوله.

فتح عينيه بارهاق فأغشاها الضوء ، فأغمضهما وصوت رحمة يعزف على أوتار أذنه مع الطبيب كلمات لم يتبينها لبقايا نعاس وإحساس بالألم. ساقه المكسورة معلقة على حامل. وضماضات طبية تحيط بخصره وبطنه ، ومواضع في ذراعيه وساقيه. فتح عينيه وقد استعاد سيطرته الكاملة على وعيه وإدراكه. فتح عينيه ليجد عيني رحمة أمام عينيه مباشرة فابتسم وانتابها الحرج. فقال بسعادة:

- ما أجمل أن أرى عينيك أول ما أرى!
- تراجعت رحمة بحرج وارتباك وسعادة ذات أجنحة تحلق بها فوق السحب.
وجلست على مقعد مجاور لفراشه وقالت وهي مطرقة إلى الأرض بحياء:
- كيف حالك الآن لقد أقلقنا عليك كثيرا.
- ابتسم هاني ورنا إليها بإعجاب للحظات قبل أن يقول:
- الحمد لله . طالما أنت بجواري وفي أحسن حال أنا في أحسن حال.
- أطرقت لبرهة لا تستطيع أن تهبط بسعادتها إلى الأرض . ثم قالت بصوت بدي
للسعادة بريق فيه:
- أخبرني بالذي حدث بعد أن غادرت أنا.
- قبل أن أحكي لي طلب.
- رفعت عينيها لتلتقيان بعينيه قائلة بصوت خفيض أقرب للهمس:
- أنت تأمرني لا تطلب مني.
- أشعر كأنك أنت التي تعملين عندي لا أنا الذي أعمل عندك.
- أنت سيدي وتاج على رأسي. تأمرني وأنا ألبى بلا نقاش.
- ليس إلى هذه الدرجة . إنني
- المهم . ماذا تأمر ؟ لا أحب الجدل.
- المهم يا سيدتي .. عيناك..
- عقدت حاجبيها الرقيقين بتساؤل، فتابع:
- فاتنتين أكثر من اللازم . أظن أن إظهارهما هكذا أخطر من إظهار
وجهك كله. فأحب أن تخفيهما.
- رَفَعَتْ يُمْنَاهَا إِلَى خَلْفِ رَأْسِهَا وَجَذِبَتْ بِأَنَامِلِهَا طَبَقَةَ رَقِيقَةٍ مِنْ نِقَابِهَا
وَأَسَدَلَتْهَا بِهَدْوٍ عَلَى نِقَابِهَا فَسْتَرَتْ عَيْنَيْهَا. فَاتَسَعَتْ بِابْتِسَامَتِهِ بِسُرُورٍ.



ساد الصمت بينهما لحظات قطعته هي هامة:

- ألن تحكي لي الآن كيف تغلبت عليهم.

قص عليها ما حصل منذ تركها حتى سقط فاقد الوعي بين يدي حارس جابر الشخصي، والشخص المتربص عن بعد يصوب نحوه مسدسه يترقب فرصة مناسبة ليقتنصه. نظر إليها وجدها منتبهة بكل حواسها. هكذا شعر فلم ير منها إلا شبح عينيها. ولما وجدته صمت هتفت بشغف:

- ثم ماذا؟! ماذا حدث بعد ذلك؟

- وصل شهاب. استعدت وعيي بعدها بدقائق وجدت شهاب يتقاتل مع الرجل بشراسة غريبة. لقد رأيت شهاب في قتاله من قبل، ولم أره بمثل هذه الشراسة. وعلى الرغم من قوة ومهارة الرجل إلا أنه لم يجد

لنفسه فرصة أمام شهاب . تراجع محتما بالأشجار والصور حتى لا أصاب بطلق ناري. ثم رأيت حارس جابر يفر هاربًا .
تحرك شهاب نحو السيف الذي سقط مني وانحنى عليه وقبض عليه
بشراسة أشعرتني بالخوف . أسلوبه في الاستحواذ على السيف أسلوب
من ينوي قتل أحد . هل رأى الذي يطاردني ؟ كدتُ أجزم بذلك لولا أن
استدار نحوي. ورمقتي بشراسته الغريبة. ودنا مني كوحش نحو
فريسته. فأدركت الأمر . إنه يريد قتلي أنا .

قالت رحمة بدهشة:

- ماذا؟ شهاب؟! يقتلك أنت؟! لما؟!

توتر صوته بقلق:

- سيبدو الأمر غريبًا نوعًا . هل تذكرين الشابين اللذين خرجا من تحت
زهرتين الشهر الماضي؟

أومات برأسها إيجابًا بدهشة قائلة :

- نعم لقد كان ذلك أمرًا رهيبًا. ما الذي ذكرك بهما؟

- لم يمتا.

- ماذا ؟ لقد قتلت أنت أحدهما. وهو قتل الآخر منقذ هدير.

- عندها حاولت هدير حمايته كما أخبرتني. وسقط الوحش المدعو سام
فوقها وأغرقها بدمه . أليس كذلك ؟

- بلى.

- هذا الكائن ليس طبيعيًا مثلنا .

- أكيد.

- وعلى ما أظن هو وأخيه نتاج تجربة ما، حاول والدهما فيها جعل
بقاءهما في الدنيا أطول عن طريق تغيير هندسة الجينات الوراثية لهما
وفي هذا كان يحاول تغييرها لتحمل صفات معينة من النباتات . ويبدو
أنه نجح إلى حد ما. فهذان الشبان عادا للحياة مرة أخرى عن طريق

- بذرة تبقت بعد إحتراقهما في الحريق الذي نشب في فيلتهما منذ عشر سنوات. ثم نبثا من جديد الشهر الماضي.
- ولماذا لم ينبثا فوراً؟
- لأن كل بذرة ولها فترة كمون . لايمكنها أن تنبت خلالها. وهذه الفترة تختلف من نبات إلى آخر. وعندما سقطت دماء سام على هدير ، انتقلت منه هذه البذرة إليها . وسيطرت على عقلها . فهدير لم تكن موجودة الشهر الماضي، الذي كان يعيش معك هو سام في جسد هدير.
- اتسعت عيناها بفزع من هول فكرة أن تعيش مع من يراها ولا تراه. ورجعت بذاكرتها لعشرات المواقع التي صدرت من هدير في الآونة الأخيرة . و التي تؤكد أن هدير لم تكن هي. كانت مختلفة تماما . ولكنها لم تعز ذلك إلا لفقدها لأبيها وبدر فلقد تعلقت به كثيرا. فقالت شاردة:
- هذا مع غرابته يفسر مواقف كثيرة.
- ثم أردفت بذعر:
- هذا يعني أنه رأى وجهي. لقد كانت تنظر إلي بنظرات غريبة لم أفهمها. حلق في ملامح وجهها في خياله وهو يرنو إلى عينيها قائلاً:
- ما عليكِ وزر إن شاء الله، لم تكوني تعلمين.
- قالها مبتلعا حنقه في أحشائه ومرارته مازالت تدور في حلقه. ثم قال محاولا نسيان تلك النقطة:
- ولكنه حتى كنا في بيتي اليوم لم يكن قد استقر على خطته بعد . كان يريد أن أخرج أنا مع هدير حتى يتسنى له فرصة لدراستي عن كذب أو قتلي لو سنحت له فرصة .
- اتسعت عيون رحمة في رعب إن الأمر أخطر مما تصورت . كان من الممكن أن يقتلها في الأيام الماضية. كما أن هدير الآن تحت رحمته . أنصتت لهاني في ارتياح وهو يكمل :

- استبعد فكرة الانتقال لجسمك من غيائه ، لحسن حظي ، لأن جسمك ضعيف من وجهة نظره ، وهو يحتاج لجسم قوي . تسيطر عليه عقيدة الوحوش ، الانتصار للأقوى . فقرر الانتقال لشهاب .

تزايد رعبها في صوتها:

- ولكنه ينتقل عن طريق الدماغ. أليس كذلك؟
 - صحيح . ولكن الحمد لله هي بخير الآن. وإن كاد يودي جرحها بحياتها لولا أن أسرع بها شهاب إلى المستشفى قبل أن يتمكن منه هذا الوحش. لقد أخبرني الشيخ عمار منذ قليل أنه عاد من صلاة المغرب ليخبره الجيران أنهم رأوا شهاب يسرع بها يحملها على كتفه بذراعه الواحدة وهو ملطخ بالدماغ. ولا يعرف أحدٌ ماذا حدث . وشهاب اختفى.
 - لم يكن قد سيطر على عقله في هذه اللحظة. وبعد أن أحكم سيطرته عليه حضر إلى هنا لإتمام انتقامه وقتلي. وعندما تغلب على حارس جابر. انقض علي بالسيف . ظننته في البداية يمزح. ولكن عندما التقت أعيننا أدركت الحقيقة . وأدركت أنني لن أستطيع تفادي الضربة القاتلة. ورفع يده بالسيف وهمّ بالقضاء عليّ. ولم أدر ماذا أفعل . وأنا عاجز تماما عن التحرك قيد أنملة. وفجأة أمسك رأسه وهو يصرخ وعلى وجهه أعتى علامات الألم. وراح يتلوى ويتراجع ويصرخ. ثم ظهرت سيارة توقفت إلى جوارى وخرج منها المهندس حامد والأستاذ وحيد . وحملاني حملا إلى السيارة . وانطلقا بي وإلتقنا عبد الله بيك . ثم قدمنا أنا وعبد الله بيك إلى الفيلا.

قالت مندهشة:

- ولماذا لم تذهبا إلى المستشفى؟ هل كنت تعلم أن جابر سيأتي إلى هنا؟
 - خَمَّنتُ ذلك.

دخل عبد الله إلى الغرفة . ألقى السلام مبتسما. وهو يتقدم يعرج عرجًا خفيفًا. ردًا عليه السلام فقال بمرح:

- ها قد عاد بطلنا إلى وعيه.

- الحمد لله على سلامتك يا عبد الله بيك. لماذا لم تعد للبيت لتأخذ قسطاً من الراحة؟

قال بامتنان شديد:

- ما كان لي أن أترك الليلة أبداً . لولاك لكنت الآن في عداد الأموات.
- ياسيدي ما أنا إلا سبب . لقد قدر الله أن تنجو فجعلني سبباً. ولو لم أظهر أنا لجعل الله سبباً آخر. ولو كان قدرك الوفاة ، ما استطعت أنا ولا أهل الأرض جميعاً أن نأخرك دقيقة واحدة.
- وهذا لا يقلل مما فعلت. ومن أن جميلك هذا في عنقي إلى أن أموت.

قالت رحمة على استحياء:

- هذا هو هاني يظهر دائماً في أحلك المواقف. ومع ذلك متواضع جداً.
سحب عبد الله مقعداً وجلس عليه بجوار رحمة وفراش هاني. وفتح كيس في يده وأخرج مافيه وهو يقول:

- لا بد أنكما جائعان جداً الآن.

أخرج شطائر من اللحم قدمها لهما قائلاً:

- هلمّا وسمّياً الله.

اعتدل هاني، ووضعت رحمة وسادتين خلف ظهره. وشرعوا في تناول الشطائر و عبد الله يسأل هاني :

- عندي سؤال ، لماذا توقفت في حديقة الفيلا رغم ضيق الوقت وإصابتك؟

- كنت ألتقط أنفاسي.

- بدوت لي كأنك كنت تنتظر شيئاً ما .

مضغ هاني قطعة من الشطيرة في فمه للحظات ثم قال بعد أن ابتلعها:

- وماذا أنتظر؟ أنت تعرف ما كان بي من إعياء. لقد فقدت وعيي بمجرد أن غادر جابر.

هز رأسه علامة التفهم ، وواصل مضغه ورحمة تقول:

- لم تجب سؤالي أنا.
- كان مجرد توقع . فشخصية جشعة عدوانية مثله، سيفعل ذلك عندما يراك تغادرين وحدك. ولهذا جعل حارسه ينتظرني.
- سؤال آخر.
- هل هو تحقيق أو ما شابه؟

ابتسمت رحمة وعبد الله في حين أردفت هي:

- لماذا طلبت مني أن أذهب إلى الفيلا لا إلى المستشفى على الرغم من معرفتك بإصابة كتفي؟

قال عبد الله:

- أشعر أن هذا كله خطة. هدفها كشف جابر أمامي. ولكن كيف كنت واثقا هكذا من نصرك.
- ليست ثقة ياسيدي. ولكن توكل على الله أولا. ثم تهديد جابر للسيدة رحمة أمر حتمي. سعيت أنا فقط لإظهاره لك.
- السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

التفت الجميع إلى مصدر الصوت فرأوا الرائد مجدي حسين يتقدم داخل الحجرة وخلفه رجلي شرطة . ردوا عليه السلام قبل أن يقول هاني مرحباً:

- أهذه الزيارة ودية لصديق جديد ، أم كما في الأفلام العربية تصل الشرطة بعد
- لا هذا ولا ذاك يا صديقي. لقد أتيت للقبض عليك.



أطفأت أمانى جهاز التكييف، فقد كانت تشعر باختناق شديد. منذ أتت منال والدماء تغلي في عروقها. فلقد دخلت منال حجرة المكتب وأغلقتها من الداخل بالمفتاح بعد أن طلبت منها الخروج. ماذا فعلت؟ وماذا أخذت؟ وكيف تعرف وتتصرف في بيتها هكذا كأنها هي صاحبة البيت؟ لقد أحنقها هذا وأغضبها. بل أشعل النار في كيانها كله. راحت تقلب في قنوات التلفاز وهي لا تكاد ترى ما يدور على الشاشة. الوسوس تدور برأسها. ونيران غضبها تزداد لهيبا. تنهى إلى مسامعها صوت المفتاح يتحرك في رتاج الباب. فأطفأت التلفاز وألقت جهاز التحكم عن بعد على منضدة صغيرة أمامها. وعقدت ساعديها أمام صدرها وحاجبيها بغضب.

دخل نادر ولم يعرها اهتماما كعادته. دخل الحمام اغتسل وخرج ليجدها واقفة أمام باب الحمام عاقدة ساعديها تصيح بغضب:

- ماذا كانت تفعل منال هنا؟

تجاوزها بلا مبالاة قائلا:

- لا دخل لك بهذا.

سارت خلفه تصيح :

- لا دخل لي بماذا؟ تدخل بيتي ولا تسمح لي بمعرفة ما تفعله؟ هذا بيتي أم بيتها؟!

قال بنفاد صبر:

- لا بيتك ولا بيتها. هذا بيتي أنا. كفي عن هذا الهراء وجهزي العشاء. أنا جائع ولست في مزاج يسمح بكلمة زائدة.

- ولكن

قاطعها بصرخة هادرة:

- قلت كفى. هيا اغربي عن وجهي.

انتفضت في زعر . وولت هاربة.

عادت بعد قليل تضع الأطباق على مائدة الطعام. وسمعتة وهو يكلم منال في الهاتف ويصيح فيها :

- قلت تعال فوراً .

قالت أمانى في غضب:

- تأتي أين ؟

حدقها نادر بنظرة نارية جمدت الدماء في عروقها، قبل أن يقول بصوت غاضب خفيض يقف على كل كلمة ضاغظاً على حروفها في غضب:

- لست... في مزاج جيد الليلة.... وصوتك يزيدني
ثورة اخرسى.... ولا تتكلمي مرة أخرى .. أفهمتي؟

ارتجفت في رعب ، وفرت إلى المطبخ تكمل تجهيز العشاء ودموعها وجهها تنهمر بلا توقف.

أتت منال قبيل انتهائه من تناول طعامه. فتحت لها أمانى الباب وعيناها تقاومان باستماتة الدموع التي تحاول الفرار. وخارت قوى عيناها بمجرد أن وقعتا على منال ، التي لم تبد بحال أفضل بكثير. كان الإضطراب والتوتر يفتكان بأعصابها. والخوف يسيطر بشكل كامل على ملامح وجهها. خفضت عينيها بخجل وارتباك. تقدر سبب نظرة الحنق والكراهية في عيني أمانى . ولكنها لا تملك ما تفعله. قالت أمانى بصوت مختنق:

- انتظري في حجرة المكتب. تعرفينها طبعاً.

لم تغضب منال من أمانى. كان غضبها على نفسها أكبر. ما الذي ورطت نفسها فيه؟ لقد تحول عملها مع نادر من جنة إلى نار . من سكرتيرة محترمة. إلى مساعدة مجرم. وقفت في حجرة المكتب ترتجف برداً أنعشه خوفاً، فصارت كعصفور خرج من بحيرة في ليلة مطيرة مجمدة. لم تجرؤ

على الجلوس، وحتى الوقوف كان على أشواك. انتفضت حتى كاد يتوقف قلبها عندما انفتح الباب بغتة. وشهقت بفرع. وتجمدت الدماء في عروقها لنظرة نادر وصوته الثائر:

- هل يمكنك أن تخبريني يا بطة بالذي حدث بالضبط؟

تلعثت وقالت بصوت مختنق مبجوح:

- لقد أخذت الشريط وخرجت. وعلى بوابة الفيلا فوجئت بعماد، سكرتير عبد الله بيك ومعه رجلي أمن، يهددني ويطالبني بتسليم الشريط.

دار حول مكتبه وجلس على مقعده قائلاً وهو يفكر بعمق:

- ما الذي قاله لك بالضبط؟

- قال: أخرجي الشريط يا منال بهدوء بدلا من أن أجعل هذان الرجلان يفتشاك ذاتيا ويخرجاه منك."

ازداد انعقاد حاجبيه دهشة وتفكيراً:

- كيف علم أنني طلبت منك توصيل الشريط لزوجتي حامد؟! لم أقرر ذلك إلا في قاعة الاجتماعات. ولم أر هاتف أحد أصلاً. كيف؟! من أعطاه الأمر. أم.....

صمت يفكر بعمق لحظات قبل أن يستطرد بشرود محدثاً نفسه:

- هل كان يعلم أنني سأفعل؟ هو بالتأكيد خرج خلفك منذ غادرت الشركة. لماذا؟!!

صمت طويلاً هذه المرة. ولم تتفوه هي. حتى عاد الغضب إلى ملامحه. فقال بحنق غير مصدق:

- هل خطط هاني لذلك؟ استفزني حتى أفعل. وقد أعد الأمر مسبقاً. مستحيل!! لا يمكن أن يكون بهذا الدهاء. لا يمكن أن يخدعني هكذا.

ضرب المكتب بقبضته بهياج صارخاً:

- أيها الحيوان . لا أفضل إلا بظهورك في حياتي . ولكن هذا لن يدوم.
هب واقفًا يصيح:

- لقد حفرت قبرك بيديك . لن تفلت بكل ما فعلته بي.

اقترب من منال وهو يقول بنفس الشرود ولكن ينظر في عينيها المزعورتين
مباشرة هذه المرة:

- ولكن هذا يحتاج لخطة جديدة . أضع فيها نصب عيني دهاء هذا
الحيوان.

صمت من جديد وهو ينظر في عينيها ثم قال :

- منال ! أريد منك أن

قاطعته مرتجفة:

- سيدي . سيدي نادر بيك . لقد تجاوز هذا الأمر حدود احتمالي. أرجو
أن

ازدردت لعابها بصعوبة ، وهو ينظر إليها متسائلا مقطبًا. فخفت صوتها
ورأتعش وهي تردف:

- أرجو أن أن تقبل استقالتي.

أمسك كتفيها بغضب ووجهه تكاد حمم ثورته تنفجر منه . ورجَّها بعنف
صائحا:

- ماذا؟ ما الذي تقولي-

تركها دفعة واحده. فاختل توازنها وكادت تسقط . شعرت كأنه سينقض عليها
و

هدأت ملامحه فجأة ولانت ، اقترب منها وقال بعتاب :

- تتركيني يا منال؟

أمسك يدها واحتضنها بين كفيه بحنان مصطنع ، ما شعرت فيهما إلا ببرودة وقسوة. وقال بلهجة حاول جاهداً أن يجعلها حارة:

- أنا لا أستطيع الاستغناء عنك يامنال .

أجبرت لسانها على التحرك في حلقها الجاف :

- ستجد من هو أفضل مني ياسيدي.

اقترب أكثر حتى شعرت بأنفاسه على وجهها وهو يقول:

- وهل سأحبها كما أحبك؟

رفعت إليه عينين زائغتين من المفاجأة وعدم التصديق. فأردف :

- نعم يامنال أنا أحبك. ولا أتخيل حياتي بدونك. كيف تتركيني هكذا؟

تلعثمت قائلة:

- أنت متزوج ياسيدي . ولم أشعر قط أن....

حاول أن يقترب منها أكثر فتراجعت منتفضة في حين قال :

- زواجي من أماني كان تسكين لوالدي العزيز حتى أتمكن من وضع

قدمي في المملكة . وورقة قد أحتاج إليها في انتقامي من هاني.

ثم تابع بغل:

- لم أكن أعلم أنه سيأتيني بهذه السرعة.

ثم تابع بلين:

- أما أنت

شعرت بأنه يخدعها لتظل معه تعمل. لو قال لها هذا الكلام من يوم واحد فقط

لطارت من السعادة. ولصدقته بلا أدنى ريب. ولكن الآن وفي ظل هذه

الظروف، فهناك احتمال قوي بأنه يخدعها.

- أما أنت فحلم حياتي .
- ولكن ياسيدي.....

عاد للهجته الصارمة:

- لا تقولي سيدي مرة ثانية . قولي نادر فقط. ودعك من هذا الهراء .
- وهيّا نضع الخطة سويا. وبعد أن يستتب الأمر لنا . سيكون يوم سعدنا.
- هل هو صادق أم مخادع. الظواهر تؤكد أنه مخادع. وفرحة قلبها بتحقق حلمها يؤكد أنه صادق. ماذا يجب أن تفعل . واشتعل الصراع في قلبها.



أصاب الذهول سام عندما استعاد سيطرته على جسده في اللحظة الأخيرة. بضعة ثوان ويتحقق انتقامه. وفجأة اشتعل الصداع في رأس شهاب وشعر هو به قبل أن تظلم الدنيا أمام عينيه، التي هي عيني شهاب. وهذا معناه أن شهاب أفاق فجأة. واستعاد السيطرة. إذاً فقد أحضر شهاب من القاهرة إلى المملكة لإنقاذ هاني لا لقتله. كلا. لن يهزمه هذا التافه ذو الذراع الواحدة. في لقائهما السابق هزمه شر هزيمة في بضعة دقائق، وكان هاني معه أيضا. فكيف يهزمه في صراع عقول، وفي هذه اللحظة بالذات وقد كان قاب قوسين أو أدنى من هدفه. ويحيل نصره إلى هزيمة. استجمع كل غضبه أشعل فيه نار مقتته، ليعمل عقله بأقصى طاقته. وبدأت الرؤية مشوشة. إنه ينجح ولكن الألم لا يطاق. لم يجد هاني أمامه ولا حتى نفس الشارع. وأتته عبارة شهاب صارمة متحدية:

- لن تهزمني أيها الحشرة.

عاد يغوص في الظلام. فدفع بكل جهده وقوته وهو يصرخ في عقل شهاب:

- أنت الحشرة لا أنا. وسأسحقك سحقاً. أنت أضعف من أن تصمد أمامي.

وبالفعل خارت قوى شهاب دفعة واحدة. وفتح عينيه كان جائئاً على ركبتيه في عرض الطريق. وفي رأسه الصداع يضرب خلاياه بعشرات المطارق. هذا اللعين مازال يقاوم. نهض واقفاً وهو يسأل نفسه:

- ماذا سأفعل الآن؟

لقد فسدت خطته الأولى بخطأ في التعبير من شهاب وتسرع منه. وها هي الخطة الثانية تفشل. ولا توجد خطة ثالثة بعد. وهذا اللعين لا يكف عن المقاومة. هدير لم تُبدِ أية مقاومة. استولى على عقلها وهي فاقدة الوعي. وظلت مستسلمة لغيوبتها حتى خرج منها. تعيش في أحلامها.

ارتفع صوت صارم:

- توقف عندك ولا تتحرك. وارفع يديك فوق رأسك.

التفت خلفه ليووجه ثلاثة رجال من الشرطة يصوبون له مسدساتهم. قال لنفسه وهو يرفع يديه فوق رأسه:

- فكرة جيدة. نعود للخطة الأولى مؤقتاً. ونزيح هذا المشاغب من الخارطة. ويخلو لي الجو مع الأستاذ هاني. ثم نرى كيف سنقضي عليه.

ابتسم بخبث وأحدهم يقترب منه بحذر قائلاً:

- من أنت؟ وماذا تفعل هنا؟

قال سام مبتسماً وهو يقترب منه:

- أنا شهاب نصر الدين. وأمشي في الشارع. هل هذه جريمة؟

توقف الرجل على بعد خطوة واحدة منه، مصوباً مسدسه إلى رأسه قائلاً بصرامة:

- أرني بطاقتك الشخصية. وبطاقة المملكة.

اقترب منه شهاب قائلا :

- وماذا إن لم يكن لدي؟

تراجع الرجل بتحفظ وهو يسحب صمام الأمان في مسدسه صائحا:

- لو تقدمت خطوة أخرى سوف

وثب شهاب نحوه فجأة . وهوى على فكه بكلمة ساحقة . ألقته أرضا فاقد الوعي . وأطلق الرجلان رصاصاتهما عليه . واخترقت ثلاث رصاصات صدره وبطنه. فانطلق يعدو مبتعدا. يجب الآن على سام أن ينتقي مكانا جيدا لنموه من جديد . وبعد مطاردة قصيرة استطاع الهرب من الرجلين في شوارع المملكة . وشهاب على وشك الموت. لابد أن يغادر هذا الجسد بأقصى سرعة وقبل أن يلفظ أنفاسه الأخيرة . وإلا حبسه تجلط الدماء بعد الموت إلى أجل ليس بقصير. انطلق يعدو بأقصى طاقاته و

برزت سيارة مندفعة فجأة من شارع جانبي قبيل وصوله للنطاق الزراعي . وصدمة بقوة فألقت جسده بضعة أمتار يتدحرج على الأرض.



أدارت مفتاح السيارة ليعمل المحرك ونادر يقول متحدثا في هاتفه المحمول ، واقفا بجوار السيارة:

- نعم سكرتيرتي. ستأتيك الآن عائدة إلى بيتها في القاهرة في سيارتي الحمراء الصغيرة. لا تستوقفها مطلقا. فلقد تأخرت كثيرا.

أغلق الخط ثم مال على نافذة السيارة قائلا بابتسامة عريضة:

- أية خدمة أخرى يا سيدتي ؟ هيا . ولا تتأخري غدا.

أجابته بابتسامة متوترة. ثم تحركت بالسيارة مبتعدة. وهي تتابعه في مرآة السيارة . وما أن اختفى حتى زفرت تطرد كل الأنفاس التي انحبست في صدرها. لقد تبدلت مشاعرها نحوه في أيام قلائل عندما كشف لها نادر عن

وجهه الإجرامي . ويبدو أنها لن تنتزع نفسها منه بسهولة. القلق يعصف بوجودها وعقلها . ماذا تفعل ؟ النفور يملأ من قلبها أكثر من الإنجذاب نحو نادر الآن . ولكن هل يمكن أن يتركها ترحل وفي صدرها أخطر أسرارها . انغمست في حيرتها وخوفها وتخيلاتها للتداعيات المستقبلية حتى برز شهاب أمامها فجأة من شارع جانبي يعدو بأقصى سرعته محاولاً تجاوز الطريق الفاصل بين حزام الفيلل والمباني السكنية لمدينة المملكة. وصرخت بارتياح فامتزجت صرختها بصوت الارتطام . حدقت في جسده بذهول ورعب وهو يتدحرج لعدة أمتار أمام السيارة ثم يستقر بلا حراك. ظلت تحديق في الجسد المضرج في دمائه أمامها لبضعة دقائق في ذعر ثم تلفتت حولها في ارتياح، فلم تجد أحداً مطلقاً . حتى المباني القريبة بدت صامتة كالقبور . أدارت سيارتها وتحركت بها ببطأ حتى توقفت بجوار الجسد الهامد وصرع جديد يستعر في صدرها . تتركه وترحل أم تنظر حي هو أو ميت ؟ قررت بسرعة . فالموقف لا يحتمل التراخي . إما ميت فترحل هاربة . أو حي فتسعى لإنقاذه وليكن ما يكون.

وثبت من السيارة وهي ترتجف وتبكي :

- يالها من ليلة طويلة ! تجمعت فيها المصائب. كأن هذا ما كان ينقصني.

اقتربت منه بحذر كأنه قبلة ستنفجر في أي لحظة. كان ملقى على جانبه ظهره لها. جثت على ركبتها جوارها. وضعت أناملها المرتجفة كمصاصة بالشلل الرعاش على كتفه وجذبتة برفق. سقط على ظهره . كتفه المبتور الذراع إلى جوار ركبتها . شهقت بذعر لكمّ الدماء على صدره وبطنه ووجهه. وتوقفت عيناها على صدره يعلو ويهبط ببطء. وأذناها تلتقطان أنيه الخافت . جرته بأقصى ما تستطيع ووضعته في المقعد الخلفي للسيارة. وطوق ذراعه عنقها وجذبها نحوه . انتفضت في ذعر وهي تخلص نفسها من ذراعه وتراجعت وهي تحديق فيه برعب. تنهدت بارتياح لما رأته هامداً بلا حراك. أغلقت باب السيارة وهي تمسح الدماء التي أغرقت وجهها . دون أن

تدري أن قطرة تسللت إلى أنفها تحمل فيروس سفاح اسمه سام. احتلت مقعد القيادة وانطلقت بأقصى سرعتها .

ووجدت بوابة المملكة مفتوحة والحارس يشير لها بالعبور . حمدت الله وانطلقت بأقصى سرعة لديها . إتقظت هاتفها من حقيبتها وطلبت رقم بيتها وأخبرت أخيها بالحادث حتى يتصرف بأقصى سرعة.



(6) ثم اتفقوا أن يحضروا السكين

فاختلفوا من يأخذ المسكين

ثم اتفقوا أن يحضروا السكين

البرد يطعن أطرافه بقسوة . و نبضات قلبه سيات تضرب عظامه بغير رحمة .
وصوت أنثوي يأتي من قلب الظلام الذي يغلف عقله . فبدأت الأضواء تتسلل
إلى عينيه المغمضتين . تملل في رقدته لإحساسه بألم في عموده الفقري
نتيجة للرقاد الطويل في ذات الوضع . فازداد ألم ساقه المعلقة .

- هيا يابطل . حان وقت الاستيقاظ .

كان هذا صوت الممرضة تقف بجوار فراشه . في يدها محقن طبي تجهزه .
فتح هاني عينيه مبتسما قائلاً:

- صباح الخير يا أختاة .

قالت وهي تخفض المحقن:

- هلا أعطيتني يدك يا سيدي ؟

شمر هاني عن يده وهو ينظر إلى عبد الله النائم على مقعد بجوار فراشه . في
حين قالت الممرضة وهي تضع إبرة المحقن في وريده:

- كيف تشعر الآن؟

- الألم شديد .

- هذه الحقنة ستسكنُ الألمَ تمامًا حالما يبدأ مفعولها .

- إن شاء الله .

كادت تقول شيئًا آخر لولا دخل الغرفة وحيد المحامي ومعه الرائد مجدي .
فأكملت إعطائه الدواء ووحيد يقول بصوته الأشبه بالفحيح:

- كيف حالك الآن يا أستاذ هاني؟ أتمنى أن تكون بخير .

شعر هاني بود في صوته يخالف جفاء وغلظة أمس. فشعر بالارتياح . فقال:

- الحمد لله ياسيدي . أتمنى أن تكون أنت بخير.

ابتسم وحيد وهو يقف بجوار الفراش . واستيقظ عبد الله وحرك أطرافه
بإرهاق وألم. قال وحيد والممرضة تغادر :

- أنا لم أصب بخدش . أما أنت حمداً لله على سلامتك.

قال هاني بقلق واضح:

- ما حال رجلي الأيمن ياسيدي ؟

أجابه الرائد مجدي:

- الحمد لله . جراحهما كانت خطيرة ولكنهما نجيا.

أغمض عينيه بارتياح قائلاً:

- الحمد لله. لقد كنت قلقاً جداً عليهما. الحمد لله.

قال الرائد مجدي بجدية :

- ولكن أحد الملتئمين لقي حتفه. وآخر أصيب بشلل نصفي بسبب إصابة

عموده الفقري . وهذا مصيبة كبيرة. بالنسبة لك . هذا لأنهم اعترفوا

أنك أنت من اتفق معهم على مهاجمة الشركة.

ساد الصمت لحظات وهاني مقطب بدهشة وتفكير ثم قال:

- فلماذا أقتل زعيمهم ؟ ما دمت أنا من استأجرتهم. ولماذا أسعى لقتل عبد

الله بيك ؟ وما مصلحتي؟

- هذا سؤال بدهي. وأجابوا ببساطة بدهية أيضاً. أن زعيمهم غازل السيدة

رحمة مما استفزك فتحول العرض المسرحي إلى مشاجرة حقيقية. راح

ضحيتها الزعيم والرجل الآخر. والمصلحة التي تعود عليك اكتساب ثقة

عبد الله بيك .

- أنت لا تصدق ذلك أليس كذلك؟

ابتسم مجدي ثم أردف:

- قصتهم أكثر منطقية من قصتك.

قال وحيد مبتسما :

- ولكن اعترافهم دليل إدانة عليك . أقوى من تصديقنا.

قال عبد الله بقلق:

- الخلاصة . ما موقفنا بالضبط؟ كلامكما يناقض بعضه البعض.

أجابه وحيد بثقة:

- لا تقلق يا صديقي. لكل منا دوره. هاني أنقذك وأنقذنا جميعا وأنا أنقذه من السجن إن شاء الله.

قال مجدي بجديته الصارمة موجهها حديثه إلى هاني:

- للصراحة أنا أسعى للحقيقة فقط. أحترم ثقة عبد الله بيك والأستاذ وحيد بك. وليس هذا يجعلك بريئا عندي مائة في المائة.

أجابه هاني مبتسما:

- وهذا يسعدني يا سيدي ويطمئني ، لا يزعجني.

صمت برهة قبل يعترى صوته القلق قائلا:

- لو سمحت يا سيادة الرائد، أريد أن أسأل عن صديقي شهاب أين هو؟ لم يظهر منذ أنقذني من حارس جابر.

صمت مجدي لحظات جعل الجميع ينظرون إليه في ترقب:

- بالنسبة للملثم الذي هاجمك خارج الشركة لم يشر إليه أحد من الملتثمين الآخرين وكذلك الذي أطلق عليك النار أشاروا له ولكنه ليس معهم. أما هذا الشهاب ذو الذراع الواحدة فقد استوقفه ثلاث رجال شرطة بعد القبض على الملتثمين. فهاجم أحدهم فأطلق عليه الآخرا ن النار.

توقف ينظر في عيني هاني للحظات أشعلت نار فضوله. فعاد يستطرد:

- وأصابوه إصابات مباشرة و... وقاتلة. ومع ذلك هرب منهم واختفى.
وقلبنا المملكة بالكامل عليه ولم نجد إلا آثار دماء توقفت في وسط
الطريق. ولا ندري أين ذهب بعدها.

بدا القلق واضحا على ملامح هاني . وخيم الصمت للحظات قطعه هاني بتوتر
وتوسل:

- بالله عليك ياسيدي . تطمئنني عليه بمجرد أن تصك أي معلومة عنه.
- إن كان حيًا.

كان هاني يعلم أن سام سيترك جسده لهذا لجأ لهذه الحيلة ليقضي عليه قبل
أن يتركه. المشاكل تتفاقم. شهاب إن لم يكن قد مات فهو مطلوب للشرطة .
وهو مقبوض عليه . ورحمة وهدير صارا وحدهما . وجابر لن يتركهما مهما
كان . وكيف سيواجه نادر برجله المكسورة في المباراة. ترى ما الذي يدق
باب الأيام المقبلة.



استرخى جابر في مقعده في مكتبه في شركة المملكة. وهو يشعر بالعظمة .
ثم توارى هذا الشعور سريعا واحتل مكانه الغضب عندما تذكر رحمة وما
انتزعت منه من ميراث أخيه. لقد أخذت هدير وحدها نصف الأسهم . ورحمة
الثمن. أي حوالي ستة عشر سهما من خمس وعشرين. وهذا حقه لا حقها.
انبعث صوت سكرتيره من جهاز الدكتافون على مكتبه يُعلمه أن نادر عبدالله
يريد مقابله. أذن له بإدخاله وهو يتساءل عما يريد منه بالضبط .

دخل نادر غرفة المكتب قائلا بابتسامة خبيثة:

- كيف حالك يا رجل؟

نهض جابر بصعوبة فرضها عليه كرشه الضخم ومكتبه الضخم. وقال وهو يصفحه بحرارة مصطنعة:

- بخير حال. لقد كانت ليلة عصبية أمس.

جلس نادر على المقعد المواجه للمكتب قائلاً:

- لعل مكتبك هذا يروقك.

ركن ظهره إلى ظهر مقعده. وتفرد في ملامح نادر قائلاً:

- المكتب جميل ولكن ليس هذا بالتأكيد سبب تشريفي بهذه الزيارة.

اتسعت ابتسامة نادر الخبيثة وهو يقول:

- صفقة.

- جيد. أنا أحب الصفقات. احك.

صمت نادر مفكراً لحظات وجابر ينظر إليه بترقب. ثم قال:

- أنت طبعاً غير راض على امتلاك رحمة وابنتها لجزء من ميراث أخيك.

- ليس جزءاً بل المعظم. أنا الذي أخذت الجزء الضئيل.

- وفشلت في تصحيح الأمور.

مال جابر إلى الأمام معتمداً بمرفقيه على المكتب قائلاً بحنق شديد:

- ظهر هذان الشابان هاني وشهاب في الصورة فأفسدا كل شيء.

قال نادر بأسلوب إغرائي:

- وهذه صفقتنا. صفقة تصحيح.

شبك جابر أصابعه واعتمد عليها بذقته قائلاً:

- لا أحب المقدمات. ادخل في الموضوع.

اتسعت ابتسامة ناد وهو يقول:

- على الرغم أنني أحب المقدمات. فهي تثير الحماس للموضوع إلا أنني سأدخل في الموضوع.

ثم اعتدل يواجهه مستطرذاً:

- تَرَوِّجُنِي هدير.

قالها وصمت. فعقد جابر حاجبيه بدهشة وتفكير عميق. وساد الصمت بينهما لبضعة دقائق. قطعه جابر:

- فتأخذ أنت الاثنى عشر سهماً ونصف خاصتها. وماذا أجنبي أنا؟

ارتسمت على شفتي نادر ابتسامة زهو وقال:

- تجني الكثير . ولن تجني شيئاً بغير ذلك.

صمت مرة أخرى يستثير فضول جابر ثم استطرده:

- أولاً، سأتولى أنا إدارة أعمالها بدلاً من هاني فأنا زوجها. وكذلك أمها طبعاً. فيختفي هاني وأساعدك في الزواج من رحمة. فنتل نصيبها في المملكة.

هم جابر بقول شيء ما ولكن نادر قاطعه:

- ثانياً، يوم نوقع عقد زواجي بهدير . نوقع عقد شراكة بيني وبينك في نصيبها.

ساد الصمت بعدها لوهلة قطعها جابر :

- صفقة جيدة. ولكن رحمة وهدير ليستا دميّتين في يدي. وبالتأكيد سيرفضان.

تأكد نادر من غيائه، فابتسم قائلاً:

- يبدو أنك لم تنتبه إلى أنك عمها. أي ولي أمرها من بيده القبول أو الرفض غيرك؟ ثم أن من حقاك ضم حضانة هدير إليك قانونا. وتنتزعها من أمها.

اتسعت عينا جابر دهشة . كيف غفل عن هذا؟! أطرق لحظات مفكرا قبل أن يقول:

- دعني أفكر وأدير هذه الصفقة في رأسي. ثم أرد عليك.

نهض نادر قائلا بحزم:

- الليلة. فلدي خطط أخرى إن رفضت ليس لك نصيب فيها. وأنا لا أحب إضاعة الوقت.



وضع هاني سماعة الهاتف الأرضي الخاص بالمستشفى والدموع تنساب من عينيه. والحزن على وجهه محفور. فقال الشيخ عمار الجالس إلى جوار فراشه:

- اطمئن يا ولدي سيكون بخير إن شاء الله .

قالت رحمة التي تجلس بين أبيها وابنتها بجوار الفراش، وقلبها يتفطر حزنا لحزنه:

- ربما استطاع أن يخرج بوسيلة ما من المملكة ، أو ساعده شخصا ما.

قال بحزن شديد:

- لقد أصيب بثلاث رصاصات في صدره. وفي ظروف مثل ظروف ليلة أمس ، ما كان لذباية أن تخرج دون أن يستوقفها الحرس.

قال علاء الذي يجلس بين أمه وأخته منار في الجانب الآخر من الفراش:

- ربما عثر عليه طبيب ما يعيش هنا في المملكة و أنقذه.

التفت إليه هاني قائلاً من بين دموعه:

- الرائد مجدي قلب المدينة حجراً حجراً حتى منطقة الإنشاء الحديثة . ولم يعثر له على أثر. وما زال يواصل بحثه . وأنا على اتصال متواصل به.

قالت منار بمزاح:

- يا هاني يا أخي يا حبيبي. شهاب صديقك هذا مثل القطط بسبعة أرواح لم يفقد واحدة بعد. تراهني أنه سيأتي يتوآب مثل القطط.

قال هاني بأمل :

- يارب يامنار.

قالت وصوتها يزداد مرحاً:

- بكم تراهن ؟ أريد مبلغاً محدداً. الفصل الدراسي الثاني على الأبواب. ولقد وضعت قائمة مشتريات طويلة، ربما لا يكفي راتبك.

التقطت رحمة طرف خيط المرح منها قائلة:

- هذا ياعزيزتي لو قبض راتباً أصلاً. الأستاذ أصبح رد سجون. أنا أتركه في العمل لدي مؤقتاً فقط حتى أجد بديل.

انتقل بصر الجميع تلقائياً إلى رجلي الشرطة لدى الباب على الجانبين. إلا هدير التي شعرت بالحنق من كلمات أمها وأسلوبها المرح. أين كان هذا المرح وهذه الرقة أيام أبيها. ترى هل لو كانت عاملته هكذا، كان سيكون منه ما كان. تصاعد ضيقها ومنار تقول بمرح مماثل:

- أن تتركه حتى تجدي بديلاً، شيء مطمئن. لأنك لن تجدي مثل هاني أخي أبداً.

قالت هدير في نفسها: يالهم من مغرورين بهاني هذا. لقد كانت يوماً ممتنة له لما أنقذ أمها ثم لإنقاذه بدر ولكن..... بدر مات في النهاية وهو لم يفعل له

شيئاً. تصاعد ضيقها وتعاضم حتى شعرت باختناق. ظهر واضحاً في أنفاسها وعينيها.

- ماذا بك يا بنيتي؟

كانت هذه أم هاني تكلمها. وليتها كانت أمها. إن أمها مشغولة عنها بحب جديد. إن جحيم أبيها خير إذن فقد كانت تشعر بقرب أمها منها ، أما الآن

- بما تشعرين يا هدير؟

كان هذا صوت أمها قلقاً، وهي تميل نحوها واضعة يدها على ظهرها. ابتسمت بمرارة ابتسامة أخفاها نقابها ولكن عينا هاني الثاقبتين رصدتها في عينيها. وكذلك عيون رحمة بقلق الأم. وأدركت ما يعتمل في صدر ابنتها من ضيق من هاني وعلاقتها به. فسقط قلبها بين قدميها خاصة عندما قالت هدير:

- لا يهم. ما عاد شيء يهم.

قالتها والدموع تتجمع في عينيها. فسألها جدها في حنان:

- ماذا حدث يا حبيبتي؟ ما الذي يبكيك؟

انهمرت في بكاء حار ولم تتفوه. مما أثار دهشتهم جميعاً إلا هاني الذي قال:

- دعوها لي.

نقل الجميع أبصارهم الدهشة إلى هاني. وهو يردف:

- دعونا خمس دقائق فقط وأعدكم بتحويل كل ما بها من اضطراب وحزن

وغضب إلى سرور ورضا.

استفز أسلوبه الواثق هدير، فنفتت حنقها وحزنها في قولها بتحدٍ:

- كفاك غروراً.

قالت منار بحدة وإن خالطها بعض المرح:

- هاني يثق في نفسه وليس مغرورا.
نظرت لها هدير في تحد. وقالت رحمة بحدة:

- هدير.....

اعترض هاني حديثها بقوله:

- لو سمحتم يا جماعة ، دعونا خمس دقائق فقط . وستخرج لكم تبسم.

غادر الجميع الحجرة بالفعل ، ووقفت هدير بتحد ويديها في خصرها
ودموعها مازالت تسيل. ووقفت رحمة قلقة خارج الحجرة ترتجف توترا.
فقال لها أم هاني بإشفاق:

- هوني عليك بنيتي. لا تتوتري هكذا. هاني ابني حلو المنطق. لا يفلت
منه عاقل دون أن يقتنع بكلامه.

احتضنت منار ذراعها وهي تهمس في أذنها:

- كم تدفعين إذا خرجت تضحك بعد قليل؟

نظرت لها رحمة بصمت لحظات قبل أن تهمس برجاء:

- أتعشم هذا. ولكن هدير مرت بظروف صعبة في الآونة الأخيرة .
مشاكلي مع أبيها ثم مقتله أمام عينيها . وكذلك مقتل الشاب الذي وقعت
ببراءتها في حبه. وبعد ذلك بأكثر من شهر تفيق لتجد كل من حولها
سعيد إلا هي. ولو علمت ما خفي عليها لكانت الطامة.

سألها منار بدهشة :

- ما هذا الذي خفي عليها؟

- ذلك الوحش الذي قتله هاني لم يمتم واستولى على جسدها. وطوال
الشهر الماضي كان هو الذي معنا. وهي غائبة عن الدنيا.

بدت البلاهة في ملامح منار وصوتها وهي تهمس:

- لا أفهم.

ربتت على راحتها قائلة:

- وأنا أيضا لا أفهم. عادي .

خفق قلب رحمة وانتفضت عندما فتح الباب فجأة. وتعلقت عيناها بعيني ابنتها. وتنهدت بارتياح وعادت الدماء تجري في عروقها وهدير تقول بسعادة جمّة:

- أنا آسفة جدا يا أمي على ما بدر مني. أنا أحبك كثيرا.

وسرى الفخر في أنفاس أم هاني وأخته منار. وشعر الشيخ عمار بالانبهار بهاني. وتساءلت رحمة بدهشة وابنتها تحتضنها بحرارة: - كيف فعل هاني ذلك؟ كيف حول مشاعرها بهذه السرعة؟

قالت هدير بفرحة كبيرها جعلتها وكأنها شخص مخالف لما كانت عليه من لحظات:

- أنا أوفق على الانتقال للعيش هنا ومن اليوم.

اتسعت عينا رحمة من الدهشة. و هي تقول لنفسها بقلق:

- ماذا قلت لها يا هاني ؟

جذبتها منار من ذراعها التي لا تزال متعلقة بها:

- أخرجي يدك بعشرة جنيهات.

- لماذا؟

- قيمة الرهان. هيا يا عسل.



تدعي أنك تحبني. و تزوجت غيري. وها أنت ترغب في الزواج من أخرى.

قالتها منال بضيق شديد، ولد ضيقا مماثلا في صدر نادر، ولكنه سيطر عليه بصعوبة ودفنه في صدره وتصنع الحب قائلا:

- تعلمين يا حبيبتي أنه زواج مصلحة. الزيتان مصلحة. أما أنت
قاطعته بحدة:

- أما أنا فلا أملك لك مصلحة. لذا فليس هناك داع للزواج مني.
اقترب منها وهو يقول بهمس:

- بل أنت ذاتك أكبر مصلحة. وغدا أرمي هاتان الزيتان في القمامة ،
وأكون لك وحدك.

خفضت رأسها وهي تقول في نفسها: - أنت لا تعرف إلا للمصلحة . وقبل أن
تلقيهما في القمامة سأكون أنا قد سبقتهما.

قبض على أناملها وهو يميل نحوها هامسا:
- أنا أحبك يا منال.

نظرت في عينيه فرأت نظرة ذئب يهم بالتهام فريسته. السنة لهب زرقاء
تحرق لا تروي فتراجعت خطوة ولكنه لم يفلت يديها ، وجذبها برفق قائلا:

- ولن أكون لغيرك.

أطلقت آهة ألم وهي تصرخ :

- رأسي.

تراجع نادر مندهشا:

- ماذا حدث يا منال؟

قال سام بلسانها وصوتها بدلال:

- لا شيء يا عزيزي. صداع مفاجئ وزال.

شعر بدهشة من تبدل ملامحها وأسلوبها.

سألته باهتمام مفاجئ:

- وبما رد عليك جابر؟ هل وافق على عرضك؟

دار نادر حول مكتبه ليجلس إليه وهو يقول بغرور:

- وهل يمكنه أن يرفض عرض كهذا؟ إنه رجل غبي خبيث. يسهل خداعه.

كان كل ما يشغل فكر سام في هذه اللحظة ، كيف ينتقل إلى نادر؟ هذه هي الجبهة الجديدة والتي لا يتوقعها هاني . بل وهي انطلاقة جديد وقوية لمخططاته الأكبر. جلس بجسم منال على المقعد المجاور للمكتب وهو ينظر إلى قاطعة الورق على المكتب قائلا:

- هل أبلغك بالموافقة فعلا؟

اندهش نادر من الثقة والثبات في أسلوبها والجدية والاهتمام في صوتها. قال وهو يتفرس في ملامحها بدهشة:

- منذ قليل . وهو الآن في طريقه إليهم.

التقطت قاطعة الورق وراحت تقلبها بين أناملها وهي تقول:

- جيد. وما دوري أنا في هذه الخطة الجديدة. أرى أنني ليس لي دور.

- أنت حلقة الوصل بيني وبينه . أنت ذراعي الأيمن وقلبي....

سقطت منها قاطعة الورق فانحنت تلتقطها و

صرخت بألم بأعلى صوتها . هب نادر فزعا ينظر ماذا حدث. وهبت هي الأخرى فجأة رافعة يدها ممزقة شرايين المعصم نحو وجهه ، تراجع فزعا ودمائها تتناثر في وجهه. سقط على مقعده وهو يصرخ فيها :

- ماذا فعلت يا مجنونة؟

مسح الدماء عن عينيه وهتف وهو ينظر إليها:

- غبية.

رأها تتهاوى على الأرض بلا حراك كدمية قُطعت خيوطها فجأة. والدماء تتدفق من شرايين معصمها.

و بعد أن استقر في دماء نادر يدور معها في أوردته وشرايينه ، بدأ سام رحلته في قراءة أفكاره وذكرياته ومخططاته، استعدادا للسيطرة عليه. واستعدادا للجولة الجديدة.



اعتدل في جلسته على تلك الأريكة التقليدية البسيطة في بيت الشيخ عمار:

- لماذا لم تأتي رحمة حتى الآن؟ أنا جالس هكذا منذ مايزيد على نصف الساعة.

رد عليه الشيخ عمار بمقت لم يحاول إخفاءه:

- تغير ملابسها. أعلم أن المكان غير مريح لسيادتك. فالجو بارد ولا يوجد عندنا تكييف أو حتى مدفأة. كما أن فرشنا غير وثيرة.

هتف جابر بضجر:

- ارحمني يا عم الشيخ. ونادي على الدكتورة رحمة.

لم يكد يتم عبارته حتى ظهرت رحمة على عتبة الحجر. تتقدم ومعها كوبين من الشاي على صحفة صغيرة. خطت بتوتر وارتباك متشحة بالسواد من قمة رأسها حتى أخص قدميها . حدق جابر فيها بانبهار من فتنة قوامها على الرغم من ملابسها الثقيلة الفضفاضة . صاح فيه الشيخ عمار بغضب:

- جابر .

انتفض جابر في حين وضعت رحمة الصحيفة على المنضدة الصغيرة أمامهما . فقال عمار بغضب وحدة ورحمة تجلس على استحياء بجواره تلتصق فيه وكأنها تتلمس الأمان في كنفه:

- يمكنك أن تطرح موضوعك الآن وباختصار.

نقل جابر بصره بينهما في غضب قبل أن يقول بحدة:

- لقد تقدم نادر عبدالله لخطبة هدير . ويريد أن يتم الزفاف في أقل من شهر.

ابتلع الشيخ عمار غضبه حتى لا ينفجر في وجه الرجل وهو في بيته:

- ما هذا الهراء الذي تقول؟ تتكلم وكأننا ليس لنا رأي.

تصنع جابر الابتسام قائلا:

- من قال ذلك؟ الرجل طلب مني فقط و أنا أبلغكم.

قالت رحمة بحدة وصوت خفيض:

- معنى ذلك أنه سيأتي هو ووالده لطلبها من جدها رسميا؟

صاح بغضب:

- جدها من؟ أنا ولي أمرها. أنا عمها أنسيتما ذلك؟

نهض عمار واقفا وهو يقول بحزم قاطع:

- اسمع يارجل، إذا لم يأت والده معه، فطلبه مرفوض. وإن أتى فالأمر

يرجع لها. إما

قاطعته رحمة:

- كلا يا أبي. الطلب مرفوض من الآن. هدير صغيرة أصلا . ما زالت في

الثانوية .

نهض جابر واقفا يقول ببرود متهمك:

- اسمعاني جيدا، ما دمتما تصرفتما بغباء هكذا، يجب أن تعلمنا أن الموضوع منتهي. هدير شرعا وقانونا في حضانتني بعد وفاة أبيها وحتى زواجها. وأنا ولي أمرها. وقبليت بزواجها من نادر. وحفل الزفاف في قاعة الحفلات في الأول من مارس 1999 أي بعد شهر وبضعة أيام. تجهزوا لذلك. ثم

نظر في عيني رحمة وأحنقه اختفائهما خلف نقابها وخاصة مع نظرها للأرض ثم استطرد:

- ثم يحين زفافنا أنا وأرملة أخي في الأول من مايو.

أشار عمار إلى الباب صائحا بكل ما يجيش في صدره من غضب:

- ارحل من هنا أيها الحقير. ولا تدنس هذا البيت بقدميك مرة أخرى.

ابتسم جابر في برود قائلا وهو يتجه إلى الباب:

- ولا تأملا في حارسيكما. فلقد انتهى أحدهما. وصار الآخر كسيحا.

قالها وانصرف بزهو المنتصر مع حارسه الذي كان ينتظره في الردهة.

سألت رحمة أباهما بفزع:

أحقا ما يقول يا أبي؟ هل يمكنه أن يحرمني من هدير؟

جلس عمار على الأريكة وهو يقول بإحباط وضيق وصوت إنغلاق الباب يصك أذانهما:

- ليس تماما يا بنيتي. قانونا يرجع الأمر لهدير هي تختار ما لم تتزوجي

أنت. أما لو تزوجت فلا خيار. تذهب إلى عمها. وأما شرعا لا خيار

للبنات أصلا. وهو بالفعل ولي أمرها. ومعه قوة وغباء وخسة وكمٌّ من

الصفات الحقيرة يصعب حصرها. وهذه تفتح باباً من الاحتمالات السيئة على مصراعيه.

خلعت نقابها وخمارها وألقتها جانبا ثم دفنت وجهها بين كفيها وهي تهمس بصوت مختنق:

- وماذا سنفعل يا أبي؟ لا يمكن أن نسمح بهذا. هدير ابنتي الوحيدة ولن تبتعد عني أبدا.

قال بعد فترة صمت بحيرة:

- لا أدري يا بنيتي. لا أدري.

اعتدلت رحمة وجففت دموعها وهي تسمع صوت الباب يفتح . وقالت وهي تحاول انتزاع الحزن والبكاء من نبرات صوتها:

- كيف سنخبرها؟

صمت وهو يسمع صوت خطوات هدير تقترب ثم قال بصوت خافت:

- لا أدري يا بنيتي.

- لا تدري ماذا يا جدي؟

قالتها هدير بصوت مرح عال كأنها تعمدت إفزاعهما. فانتفضت رحمة بفرع. ورفع عمار وجهه إليها بحسرة وصمت. رفعت هدير أحد كوبي الشاي وهي تقول بمرح:

- كم كنت أتمنى هذا الكوب الساخن في ذلك البرد القارس.

لاحظت وجومهما. فرشفت رشفة من الشاي بتلذذ قبل أن تقول:

- ما خطبكما؟ ماذا حدث؟

قالت رحمة باكية:

- سيحدث بعد شهر .. ما سيبدد هذه السعادة.
 طبعت هدير قبلة على جبهة أمها قبل أن تقول:
- لا أعرف عما تتحدثين يا أمي. ولكن إن شاء الله لن يحدث لنا مايسيء.
 لأن الله عز وجل معنا. وقدر لن رجلين مثل هاني وشهاب.
 حاولت أن تنفذ من عيني ابنتها إلى قلبها وهي تجفف دموعها وتقول:
- ماذا قال لك هاني بالضبط في المستشفى؟
 وضعت هدير يديها في جانبيها وهي تبتسم بمرح قائلة بعناد طفولي:
- قال إنه يحبني كثيرا.
 شهقت رحمة بارتياح. فأردفت هدير بسرعة:
- وأنا أيضا يا أمي أحبه جدا. أكثر مما تتخيلي.
 ترقرت الدموع في عيني رحمة و أناملها على فمها المفغور فزعا، وكأنها
 تكتم صرخة.
 ارتشفت هدير كوب الشاي باستمتاع. ثم وضعته مكانه مردفة بمرح:
- حب أب وابنة طبعاً. يا أمي أشعر أنك صرت سيئة النية. وأخذت كلامي
 بمحمل آخر .
 حدقت فيها رحمة بعدم فهم ثم عدم تصديق ثم وكزتها في كتفها وقد فهمت
 دعابتها:
- أيتها اللئيمة.
- ضرب عمار كفا بكف وهو يقول:
- لا حول ولا قوة إلا بالله . لقد جنت ابنتي وابنتها.



استعاد شهاب وعيه دفعة واحدة . ولكنه لم يفتح عينيه. أول ما شعر به أنه مقيد على فراش وضادات طبية تغطي نصفه العلوي تقريبا كاملا . وصوت فتاة تتحدث في الهاتف. وأسلوبها في الحديث أكثر ما جذب انتباهه. همس وتوتر . رعب وبغض وارتجاف وحزن:

- ومتى سنتزوج يا أستاذ نادر؟

ازدادت نبرة البكاء في كلماتها الأخيرة . تأمل الحجرة وهي تقول بعد فترة صمت:

- نعم لم أحضر ، ولن أحضر حتى أعرف رأسي من قدمي.

انتفضت في زعر مع صياح محدثها. فانتفض الفراش معها إذ كانت تجلس على حافته بجوار قدمي شهاب. ففتح عينيه. وراها وهي تقول بتوسل ودموعها تنهمر:

- لم أعد أثق بك . إما تتزوجني أو تتركني في حالي. وأنا

صمتت لبرهة أخرى. تأملها خلالها. كانت فتاة في العشرينات من عمرها قمحية البشرة صافية اللون . ذات شعر أسود يتهدل على جبينها ينتهي إلى حاجبيها بخط مستقيم. و ينسدل مغطيا أذنيها حتى يستقر على كتفيها. عيناها واسعتان تحتها أنف صغير مستقيم ثم شفتان صغيرتان مكتنزتان. ترتدي منامة ضيقة من بنطال وجاكيت ثقيلين. قالت بوهن وهمس حزين كسير :

- إذن تقبل إستقالتي . وأنا سأنسى كل ما حدث سأمحوه من ذاكرتي تماما. وأنت أيضا امحني من

ويبدو أن جوابه كان صادما لدرجة أنها أغلقت الخط و ألقته هاتفها المحمول على المكتب المجاور للفراش. وانهمرت في بكاء حار دافئة وجهها بين كفيها. نقل بصره إلى الحجرة الصغيرة. مكتب صغير معدني عن يمين الفراش . وباب الحجرة عن يساره. وفي جهة قدميه صوان ملابس خشبي بسيط. هم بمخاطبتها لولا أن ارتفع صوت سيدة كبيرة من خارج الحجرة:

- منال ! ألم تنتهي من تغيير زجاجة الجولوكوز بعد؟!
رفعت منال رأسها وجففت دموعها بكم منامتها وهي تقول بصوت جاهدت في تجريده من الحزن المسيطر عليه:
- ثوانٍ قليلة يا أمي.
- تناولت زجاجة الجولوكوز من فوق المكتب واستدارت لتغيرها بالفارغة المعلقة في مسمار على الجدار خلف الفراش. فقال شهاب بصوت خافت خالطه الألم:
- لماذا أنا مقيد هكذا؟
انتفضت منال مطلقاً صرخة فزع هرعت الأم على إصرها تهتف:
- ماذا حدث يا منال؟
وقفت منال متصلبة تحديق فيه بارتياح في حين اقتحمت الأم الحجرة هاتفاً:
- ماذا حدث؟ هل مات؟
أجابها شهاب بصوته الواهن:
- ليس بعد يا أماه. يبدو أن عمري مازال فيه بقية.
تنهدت بارتياح قائلة:
- حمداً لله على سلامتك يا بني . لقد كاد القلق يقتلني عليك طوال الثلاثة أيام الماضية . خشيت أن
صمتت ولم تكمل فقال:
- الحمد لله يا أمي . ولكن
التفت إلى منال التي تنظر في الأرض بوجه يكاد الدم يتفجر منه:
- يبدو أنني أفزعت منال دون قصد مني.

قالت بحنان الأم:

- حمدا لله على سلامتک يا بني . أنت بالتأكيد جائع . أنا أجهز الأفطار الآن . سأحضره لك فورا . هيا يا منال ساعديني .
- أستأذنك في منال دقائق فقط أريد أن أتكلم معها لدقائق بعد أن تحل قيودي طبعاً .

تلعثمت منال قائلة بارتباك وبصوت خفيض:

- لا يمكنني . أخي أحمد قال لي ألا أفعل .

قالت أمها :

- حلّي قيوده يا منال . كيف سيأكل إن لم تفعلني؟
- لن أؤذي أحداً ثقي بي .

مالت منال تحل قيوده بأنامل مرتجفة وهمست بارتباك وحياء لما رأت أمها تبتعد:

- هل ... هل سمعت الـ
- نعم سمعت وأعرف أكثر مما تعرفني .

توقفت تنظر إليه في دهشة . فابتسم قائلاً:

- حلّي قيودي ثم نتكلم . لا تتوقفي . أشعر أن ذراعي وساقاي تخشبوا .

رفعت عينيها الزائغتين الدامعتين يفيض منهما مزيج من الرعب و الحزن والحياء . فقال لها:

- أين أنا؟ ومن أنت؟ وكيف وصلت إلى هنا؟

قالت من بين دموعها:

- لقد صدمتك بسيارة نادر بيك بينما كنت أقود عائدة من عملي معه. إنه أحد ملاك مدينة المملكة. فأحضرتك معي إلى هنا في القاهرة وهذا بيتي. وأخي أحمد في آخر سنة له في كلية الطب هو الذي عالجتك.

قال لها مهدئا:

- آنسة منال. أنت أنقذت حياتي. و أنا لن أتردد عن فعل أي شيء أو بذل أي شيء من أجلك. فكفي عن البكاء.

واصلت فك الحبال التي تقيده في صمت إلا من صوت بكاء تحاول كتمه بلا جدوى. حرك ذراعه ببطأ وألم وهو يسألها:

- لماذا قيدتموني وقد كنت قاب قوسين أو أدنى من الموت.

ضغطت على مشاعرها لتقول بصوت مختنق:

- خشينا أن تستيقظ فجأة. و

صمتت . فاستحثها على المواصلة قائلا:

- وماذا؟ شخص في حالتي هذه بكل ما في من إصابات ، ما الخطر الذي قد أمثله؟

ازدردت لعابها بصعوبة قبل أن تقول بتردد بذات الصوت المختنق:

- لقد خشيت أن تكون أحد الملتهمين الذين حاولو قتل عبدالله بيك مدير شركة المملكة.

تحرك حاجباه في دهشة وتفكير عميق وكثير من القلق. و قال باهتمام شديد:

- ماذا ؟ إن هاني والسيدة رحمة كانا هناك.

نظر في عينيها وهو يقول بفرع :

- متى كان ذلك؟ هل هو نفس التوقيت؟ أكيد. أنت ظننت أنني أحدهم.
فعلا، هاني كان مخضب بالدماء وكان يا إلهي.....
- حاول الاعتدال جالسا ولكن آلامه غلبته فتأوه بألم وجاهد وهو يقول من بين أسنانه:
- هل أصابهما مكروه؟ هل هما بخير؟ هل هاني بخير؟
دخلت أمها في هذه اللحظة، وهو يجاهد آلامه ليجلس ويقول:
- بالله عليك أخبريني. ماذا جرى؟
راحت منال تجفف دموعها وهي تقول مهدئة:
- اهدأ فقط . اهدأ قليلا إنهما بخير.
قالت أمها بقلق وهي تقترب بسرعة:
- ماذا حدث يا منال؟ ماذا حدث يا بني؟
نظر إليها شهاب، ثم التفت إلى منال قائلا بلهفة:
- حقا ! أين هما ؟ وكيف حالهما؟ وماذا حدث بالضبط؟
وضعت الأم صحيفة الطعام عند قدميه وساعده على الجلوس ومنال تقول بتردد:
- سأخبرك كل شيء . ولكن اهدأ قليلا أولا.
وضعت أم منال الصحيفة على فخذه قائلة بحنان الأم:
- ويمكنك أن تتناول طعامك، وهي تحكي لك ما تريد . وإن شاء الله
سيكون كل شيء بخير.
- التقط شهاب نفسا عميقا يدفن به قلقه ولهفته داخل صدره وأغمض عينيه حتى لا يفر منهما شيئا. صمت قليلا حتى هدأت أنفاسه، ثم فتح عينيه قائلا:

- هل يمكنك أن تنتزعي هذا المحقن من وريدي؟ ليس لي إلا ذراع واحدة كما ترين.

تبادل الاثنان نظرة إشفاق. كلاهما يشفق على الآخر. في حين قالت الأم:

- ساعد الشاي إلى أن تنتهي من طعامك.

انصرفت ومنال تسأله:

- من أين تعرفهما؟

عدل شهاب وضع صحيفة الطعام على فخذه قائلاً:

- هاني صديقي الوحيد. ورحمة أعمل لديها حارساً شخصياً.

نظرت إلى ذراعه المبتورة بدهشة فقال:

- وهذا الذراع المبتور من أسباب قوتي، إذ يجعل خصومي يستهزئون بي.

ثم أردف بابتسامة خفيفة:

- هل سأتناول الإفطار وحدي؟

نظرت في عينيه بعينين اختلطت فيهما مشاعر شتى وعجزت عن التفوه. هل يملك هذا الشاب ذو الذراع الواحدة خلاصها مما هي متورطة فيه. قال كأنه قرأ تساؤلها:

- أستطيع أن أحل كل مشاكلك مهما كانت صعبة إذا وهبتيني ثقتك.

واصلت النظر في عينيه بصمت وفي قلبها يشتعل صراع إقدام إحجام. هل تثق في شخص تكلمه لأول مرة. أم تواصل طريقها المظلم مع نادر؟

قالت وهي تخفض بصرها بصوت خافت:

- هل تستطيع أن تنجيني من السجن؟ هل يمكنك أن تنجيني من نادر؟ ثم توفر لي عملاً أنفق به على أسرتي؟

رفعت عينيها إليه وهو يقول بثقة:

- نعم، بعون الله سبحانه وتعالى.

صمتت تفكر بعمق، تنظر في عينيه، هل هو فعلاً على استعداد لبذل كل ما يستطيع من أجل انقاذها؟ أرادت أن تسأله بأسلوب أوضح فقالت بارتباك وحياء:

- هل تدرك ما تقول؟ هل حقاً لن تتردد في فعل أي شيء من أجلي؟

أوماً برأسه إيجاباً وأصابعه تداعب حافة صحيفة الطعام على فخذيه. ويقول:

- أنت أنقذتي حياتي. فكيف أتوان عن مساعدتك؟

فقالت بتردد وارتباك وأنامل مرتجفه يباليها العرق:

- هل يمكنك أن تحميني من نادر؟

سالت دموعها وهي تردف بصوت باك:

- وهل يمكن أن تنقذني من السجن؟

قال بهدوء وحزم:

- إن شاء الله. فقط أخبريني بكل شيء بصدق.

صمتت طويلاً تعجز عن التقاط أنفاسها وقد بلغ ارتباكها مبلغاً. ثم قالت:

- أعاهدك على الصدق إن شاء الله

فاضت الدموع من عينيها وبدأت تسرد قصتها مع نادر بالتفصيل.

(7) لغز

وضع الشيخ عمار يده على رأس ابنته رحمة وضمها إلى صدره بحنان وهو يقول :

- اهْدأي يا حبيبتِي. سيكون كل شيء على ما يرام.

أغرقت صدره بدموعها الحارة. وهي تقول بصوت متقطع من البكاء:

- ما الذي سيكون على ما يرام يا أبي. هاني الذي ظننا أنه سيغير مجرى حياتنا، غيرنا نحن مجرى حياته وألقيناه في السجن. دمرنا حياته بدلا من أن يكمل دراسته في آخر فصل دراسي له كباقي زملائه. وهو الآن يجلس بين المجرمين في السجن. وشهاب المسكين الذي ضحى بحياته من أجل هدير وهاني لا ندري عنه شيئا. ونادر تزوج هدير رغما عنا وأخذها من بين أيدينا ولم نستطع منعه.

ربت على ظهرها قائلا:

- ما كنت لأسمح بذلك لولاها هي . هي التي استوقفتني وخرجت معه بإرادتها.

ازداد نحيب رحمة وهي تقول:

- لقد ضحت بنفسها من أجل سلامتنا. لقد خشيت أن يؤذينا نادر ورجاله.

حاولت أن تقول شيئا آخر ولكن البكاء غلبها فتوقفت الكلمات في حلقها وتدفقت الدموع من عينيها أكثر. فضمها والدها إلى صدره أكثر وفتح فمه ليقول شيئا ولكنها قاطعته بصوت متهدج بكاءً:

- وهل سأفعل مثلها وأستسلم لجابر خوفا عليكم؟

غلبته دموعه وحزنها يفطر قلبه. وأبعدها عن صدره وطبع قبلة على جبينها وابتسم ابتسامة حانية وهو يقول ناظرا في عينيها مباشرة:

- إن الله لا يظلم أحدا يا بنيتي. نحن الذين نظلم أنفسنا بسوء اختيارنا المولود من جبننا ونسياننا لله عز وجل. ولقد تعلمنا الدرس. لن نخطئ في قرارنا وسنتوكل على بارئنا. وهو نعم المولى ونعم النصير.

اعتدلت في جلستها ومسحت دموعها بأناملها وإن لم تتوقف عن البكاء ولكنها تحاول كتمه. انطلق رنين هاتفها فانتفضت بفرع. مما زاد من إشفاق

أبيها عليها. فالتقط الهاتف من فوق المنضدة الصغيرة أمامهما وهو يربت على يدها قائلاً:

- اهْدأي يا حبيبتِي.

ألقي نظرة على شاشة الهاتف قبل أن يقول:

- رقم غريب. تردين أم أرد أنا؟

أشارت إليه أن يرد هو والتقطت منديلاً ورقياً من علبة كبيرة على المنضدة الصغيرة وتحفزت وانتبهت وتوقفت عن تجفيف دموعها وأبيها يقول:

- شهاب؟! الحمد لله على سلامتك. أين أنت؟

أرهفت سمعها وأبوها ينصت لشهاب. فقالت بلهفة:

- ماذا يقول يا أبي؟ أين هو؟ لماذا لم يأتِ؟

صمت قليلاً ينصت لشهاب قبل أن يقدم لها الهاتف قائلاً:

- إنه يريد أن يكلمك.

التقطت الهاتف وقد أشرق وجهها الفاتن بأمل جديد.



صرخ جابر بغضب هادر ارتج له كرشه الضخم وجسده كله وهو يتقدم هرولة في حجرة مكتب وحيد في مبنى إدارة المملكة:

- أين هذه المرأة التي أخبرتني عنها؟

استرخى وحيد في مقعده مبتسماً في تهكم ثم قال بصوته الأشبه بالفحيح:

- وماذا تريد منها؟

توقف جابر أمام المكتب مباشرة وهو يصيح بجسده كله:

- أريد أن أثبت كذبها. إن أخي رشدي لم يتزوج سوى من رحمة. يمكنك أن تخذع الجميع إلا أنا. أنا الذي كنت أملي على رشدي مايفعل ومالا يفعل. وما كان ليتزوج دون موافقتي فضلا عن علمي.

قال وحيد متهكما:

- لا أعرف إلا الأوراق. وهي قدمت لي أوراق سليمة تثبت أنها زوجة أخيك وابنها ابنه.

صرخ جابر:

- هذا هراء... هذه إحدى نصبات نادر.. خدعني وجعلني أزوجه هدير وهو يخطط.....

قاطعته وحيد:

- غدا سيعاد توزيع التركة وفقا للدعوى القضائية التي رفعتها زوجة أخيك.

قال جابر بصوت أقرب للبكاء:

- وطبعا الابن يحجبني . لذلك سأخرج من المولد بلا حمص.

قال وحيد ببرود:

- ليس هذا شأني.

صمت كلاهما لبرهة . قال بعدها جابر بصوت يتطاير الشرر من بين حروفه:

- كم دفع لك نادر؟

اتسعت ابتسامة وحيد الساخرة وهو يقول بفحاحة البارد:

- لقد انتهت الزيارة يا بيك. وعندي جدول أعمال مزدحم اليوم.

- سوف تندم يا وحيد باشا أنت وهذا التافه المغرور نادر.

دار وحيد بمقعده ليشيح بوجهه بعيدا وهو يبتسم باستهزاء وتهكم. فازداد غضب جابر واستدار منصرفا ودمأوه تغلي ويقول بصوت خفيض:
- ستندمان.

خرج من الحجرة وصفق الباب خلفه بعنف وتبعه حارسه الذي كان ينتظره في صمت.

وصل مكتبه وهو يرمق كل شيء بحسرة. لقد حلم يوما بامتلاك كل هذا . وعندما اقترب من حلمه ولمسه بيديه امتدت يد نادر لتخطفه منه. انتزعه صوت سكرتيره من حسرته:

- هاني عامر ينتظر سيادتك في مكتبك:

قال جابر بحسرة:

- مكتبي!!! ما عاد مكتبي. غدا يتلاشى كل شيء وكأنه حلم وحن وقت الاستيقظ منه.

ثم انتبه فجأة فأردف بدهشة:

- هاني من!!!!?

قال الشاب بارتباك :

- يبدو مختلفا بعض الشيء. لقد أطلق لحيته ولكني لن أخطؤه أبدا. هو بالتأكيد هاني عامر مدير أعمال السيدة رحمة.

قال جابر بدهشة وتفكير عميق:

- هاني عامر مازال في السجن على زمة قضية الاعتداء إياها . والتي لم يحكم فيها بعد.

قالها ودلف إلى مكتبه. نظر إلى الجالس خلف المكتب بتمعن ودهشة. هو هاني فعلا ويجلس إلى المكتب كما لو كان صاحبه. لا يمكنه أن يكون مخطئا. قال بدهشة:

- كيف و متى خرجت من السجن؟ و

قاطعته هاني بجدية وحزم وهو ينهض:

- ليست هذه قضيتنا الآن قضيتنا أكبر وأخطر.

تمالك جابر أعصابه وقال بجدية هو الآخر:

- وما تلك القضية التي بينك وبينني؟ هل تقصد زواجي من

أسكته هاني بإشارة صارمة من إصبعه ونظرة نارية جعلته يصمت ويتراجع وحارسه يتحفظ ويتقدم خطوة.

قال هاني وقد حمل صوته الكثير من الغضب وهو يدور حول المكتب مقتربا منهما و عرج في ساقه واضح:

- مالي شأن بزواجك تزوج من شئت، واعلم أنك قد تتمكن من الزواج من أي امرأة في العالم إلا واحدة لن تمسها أبدا. ولكن هذا أيضا ليس موضوعنا الآن.

قال حارس جابر الشخصي بغضب :

- هذا الغلام يحتاج للتأديب يا جابر بيك هل

قاطعته جابر بصرامة:

- انتظر يا فريد حتى يطرح موضوعه فإن لم يعجبنا

صمت برهة التفت فيها إلى هاني ثم قال:

- واعلم أيها المغرور الذي يرتدي رداء أكبر من حجمه. أن مزاجي ليس مضبوطا اليوم وأنت ألد أعدائي. وجئت بقدميك إلى عريني.

استند هاني بظهره إلى حافة المكتب قائلا:

- وهذه قضيتنا.

عقد جابر حاجبيه بحيرة وتفكير عميق وصمت ينتظر متابعة هاني بفضول:

- علمت أن تركة أخيك رشدي سيعاد تقسيمها غدا لظهور وريث جديد.

تابعه جابر في صمت وتساؤل:

- و سيادتك طبعاً ستخرج من المولد بلا حمص إلا إذا

قالها وصمت ليثير فضوله أكثر.

فقال جابر وعقله يكاد يجن من التفكير:

- إلا إذا ماذا؟

ابتسم هاني ابتسامة خفيفة ثم قال:

- إلا إذا وافقت على الصفقة التي جئت لك بها.

- وهي

- عشرة ملايين مقابل نصيبك في الشركة.

ابتسم جابر بتهكم قائلا:

- هذا المبلغ لا يساوي ثمن سهم واحد في الشركة فضلا عن تسعة.

اتسعت ابتسامة هاني وإن بدت غامضة لا تشف عما يجول في صدره وهو يقول:

- عصفور في اليد خير من عشرة في جيب غيرك.

بدا جابر وكأنه يفكر بعمق وهو يدور حول المكتب وجلس خلفه وظل هاني على وضعه ظهره إلى جابر مستفزاً حارسه بابتسامة تهكم. قال جابر ومخه يغلي تفكيراً وحيرة:

- وأنت ما فائدتك وغدا سيذهب كل شيء لابن رشدي.

جلس هاني على أحد المقعدين المتقابلين أمام المكتب ووضع ساقاً فوق أخرى قائلاً:

- فائدتي معنوية وليست مادية.

أرعى جابر ظهره لظهر مقعده مشبكاً أصابعه أمام وجهه قائلاً:

- تنفق عشرة ملايين مقابل فائدة معنوية!

ضحك هاني بصوت مسموع قائلاً:

- حقيقة لم أتوقع هذا السؤال من رجل مثلك له باع طويل في الأسواق.

قال جابر بدهشة:

- ولمه؟

- تدفع كم لتري الحسرة على وجهي نادر ووحيد الآن.

تزايدت دهشة جابر في صوته:

- وكيف وغدا يزول كل شيء؟!؟

بدت ابتسامة هاني أكثر غموضاً وهو يقول:

- هذا ليس من شأنك. لدي خطة.

التقط حقيبة بجوار ساقه ووضعها على المكتب قائلاً:

- هذا المال والعقود. وقع واستلم.

فتح جابر الحقيبة .التقط العقود ونظر إلى المال بجشع وتردد . ثم جلس صامتا ينظر للمال تارة . وأخرى لهاني الذي يلقي نظرات استهزاء إلى حارس جابر المستشيط غضبا. وتارة أخرى يرنو إلى الفراغ.

تجاوز العشر دقائق في صمت حتى قال هاني بنفاد صبر وهو يهب واقفا:
- هل ستستغرق اليوم بطوله لتتخذ قرارا لصالحك؟ هيا خذ قرارك.

التقط جابر قلما ووقع العقود بسرعة ودفعها إلى هاني الذي تلقفها بابتسامة نصر قائلا:

- مبارك عليك المال. ومبارك علي مقعدي في الشركة لنصف يوم. ومبارك على نادر الضربة التي سيتلقاها غدا.

طوى العقد ووضعها في جيب بنطاله وتحرك نحو الباب على عجل ويقول بسخرية لا تخلو من شماته:

- يمكنك أن تخلي المكتب الآن من أغراضك. فسوف أتسلمه غدا باكرا.
قالها ولم ينتظر جوابا.

وما أن أغلق الباب حتى راح جابر يقلب الأموال بين يديه بجشع ثم ضغط زر جهاز الاتصال الداخلي ليكلم سكرتيه قائلا:

- هيا يا منير اجمع أي متعلقات لنا سنغادر اليوم المملكة. لم يعد لنا مكانا فيها.

استرخى في مقعده وشعور بالفشل يقيد أنفاسه وقال لنفسه بشراسة أسد جريح:

- ولكني سأعود قريبا... ويوما ما سأملك هذه المدينة كاملة.

فُتِحَ الباب بغتة واقتحم نادر الغرفة صائحا:

- أين هو؟

انتفض جابر فزعا وانقض فريد على نادر ولكنه توقف بعد خطوة واحدة متحفزا لما تعرفه. ابتسم جابر بتشف وهو يعود لإسترخائه في مقعده قائلا:

- تقصد هاني؟

حدقه نادر بعينه الحادثين هاتفا:

- لقد كان هنا حقا.

أجاب جابر وقد أثلجت حالة نادر الانفعالية صدره:

- بلى ولقد رحل.

كاد يقص عليه كل ما جرى بينه وبين هاني من باب الإغاظه. ولكن نادر لم يمهل إذ اندفع خارجا من الغرفة ويصيح في هاتفه يلقي بالأوامر لرجاله بغلق أي منفذ محتمل للمملكة في وجه هاني وكذلك رحمة. ثم انطلق كالمجنون مغادرا مبنى إدارة المملكة إلى حيث بيت رحمة. وثب من سيارته ليعترض طريقها وهي خارجة بصحبة أبيها صائحا:

- أين هاني؟

انتفض قلب رحمة بين ضلوعها وقد ثارت فيه مشاعر شتى مقت لنادر وفزعا على ابنتها وخوفا على هاني. أما الشيخ عمار فقد نظر لنادر بمقت شديد خالطه بعض الدهشة . فبدأ في قوله:

- تعلم أن هاني في السجن بفضل سيادتك.

وثب حارسه ليقفا على جانبيه ورحمة تهتف بفرحة ودهشة:

- لماذا تسأل؟ هل خرج؟

صرخ في وجهيهما:

- لا تتحاذقا علي. هاني هنا في المملكة . ولقد كان في مقر الشركة منذ عشر دقائق فقط. أين هو والإلا.....
- صاح الشيخ عمار بغضب شديد:
- اسمع أيها المتحذلق المغرور. هاني فعلا في السجن. وحتى إن كان هنا وكنا نعرف مكانه فلن نخبرك بشيء.
- انقض نادر عليه وقبض على تلايبه وحمله حملا وهو يصيح:
- احترم نفسك أيه العجوز . وانظر مع من تتحدث. طوحت رحمة بحقيبة يدها تحاول ضربه في وجهه تدافع عن أبيها صائحة:
- اتركه أيها الحقير.
- تلقى نادر الحقيبة على يده وجذبها بعنف فاختل توازنها واندفع جسدها للأمام وكادت تسقط لولا أن قبض أبوها على ذراعها.
- ارتفع صرير إطارات سيارة تتوقف بغتة عن سرعة كبيرة بجوارهم التفت الجميع بفزع إليها والرائد مجدي يثب منها صائحا بصراصة:
- مالذي تفعله يا أستاذ نادر بالضبط؟
- تخلى نادر عن ملابس الشيخ عمار وحقيبة رحمة وهو يقول بغضب وحدة:
- وما شأنك أنت. هذا خلاف بسيط بين أفراد عائلة واحدة.
- اقترب مجدي منهم بخطوات صارمة وعلى شفثيه ابتسامه تهكم قائلا:
- عائلة واحدة؟! كيف هذا؟ لا أرى أية صلة قرابة.
- حدقه نادر بنظرة تحد وغضب :
- حفل زفافي على ابنة السيدة رحمة كان بالأمس فقط. وأنت كنت حاضرا. فما الداعي لقولك هذا؟

توقف مجدي أمامه مباشرة ووضع يديه في جيبه بنطاله يبادلله نظرة التحدي قائلا:

- الداعي بلاغ وردني منذ ساعة واحدة من شاب يدعي أنك اختطفت زوجته في غيابه وهددت أمها وجدها بالقتل إن اعترضنا طريقك وأجبرتهما على تزويجها لك.

جنّ جنون نادر وكاد ينقض عليه وهو يدنو فعلا منه على الرغم من قصر المسافة بينهما ويقول:

- ما هذا التخريف الذي تقوله؟

كان لهذا الكلام وقع عجيب على آذان رحمة. من هذا الذي يدعي أنه زوج ابنتها وهي لا تعرفه؟ هل هذا حقيقي؟ أم هي خدعة من الرائد مجدي؟ أم خدعة من هاني؟

- هل تتهمني بالتخريف؟

لوح نادر في وجه مجدي صارخا:

- نعم . أتهمك بالتخريف أو الخداع. فلو كان هذا صحيحا، لقال جدها وأمها ذلك .

هتف به مجدي بغضب:

- حسنا. نضيف تهمة جديدة لتهمتي اختطاف فتاة وزواج بالإكراه . ولعلمك تهمة إهانة ضابط شرطة ليست بالهينة خاصة في التعاملات غير الرسمية.

لوح نادر بسبابته في وجهه متحديا:

- هل تظن أن نجومك هذه تجعلك أعلى مني أيها الحقير. ألا تعرف من أنا؟

قال مجدي ساخرا:

- نعم أعرف جيدا قدرك . ومهما علا قدرك القانون فوقك.

قهقهه نادر ساخرا:

- قانون ؟! قانون ، قانون..... القانون هذا يسري على التافهين أمثالك.
أما أمثالي هم الذين يصنعون القانون. نحن أسياد القانون.

انتزع مجدي مسدسه وهويقول:

- ما كنت أحب أن أفعلها بهذه الطريقة، ولكن

صمت برهة ثم قال بنبرة ونظرة تحد:

- أنت مقبوض عليك.

قالها وهو يخرج من جيب سترته قيودا معدنية لامعة.

فصاح نادر بغضب واستنكار:

- لقد جننت حتما أنا

اقترب منه ليضع القيود حول معصميه. ولكن نادر جذب يده بعنف وحارساه

في حيرة من أمرهما . أما عمار فقد جذب رحمة من معصمها وتراجع بها

للخلف. أما نادر فلم يتمالك نفسه من الغضب . انقض على مجدي بلكمة

تفادها الأخير وتلقى اندفاعا نادر بركبته في صدره ثم كال له لكمة أودعها

كل قوته ألقت نادر على الأرض. وثب حارسي نادر نحوه بيد أن دوي

رصاصه من مسدسه أوقفتهما. تلاه صوت مجدي صارما غاضبا:

- توقفا . لقد انتهى دوركما. نادر باشا في حماية الشرطة الآن.

نهض نادر والدماء تسيل من بين شفثيه وحمم غضبه تتطاير من عينيه .
وقبل حتى أن يفكر فيما قد يفعله توقفت سيارتا شرطة على بعد خطوات
منهما.

أحاط رجال الشرطة بهم ومجدي يشير إلى نادر الذي يمسح دماء شفثه
المجروحة بغضب قائلاً:

- ألقوا القبض على هذا المغرور ورَجُلِيه أيضا .

قال نادر ورجال الشرطة تكبله وتضع الأغلال في يديه:

- ستندم أيها الرائد. أعدك أنك ستندم على ذلك.

رد عليه مجدي بابتسامة ساخرة قبل أن يتوجه إلى الشيخ عمار ورحمة قائلاً
بصوت هادئ مهذب وابتسامة رقيقة:

- هل أنتما بخير ياسيدي؟

تنهد الشيخ عمار بارتياح قائلاً:

- الحمد لله يا ولدي.

كاد يقول شيئاً آخر لولا اندفاع رحمة قائلة بلهفة:

- هل حقاً هدير تزوجت؟ ما حقيقة هذا الأمر؟

كاد يجيبها لولا أسرع تسأله:

- وهاني .. هل هو حقاً هنا؟ هل خرج من السجن؟

ضحك قائلاً باشفاق:

- اهْدئي يا سيدتي. سأخبرك بكل شيء حالاً.

أشار لسيارته مستطرداً:

- إذا سمحتما ستأتيان معي دقائق لأخذا أقوالكما.
 وضع عمار يده على كتف ابنته وضمها إلى جانبه قائلاً:
 - هيا يابنيتي. أرى الخير قادمًا بإذن الله. هيا.
 انطلقت سيارة مجدي خلفها سيارتي الشرطة ومجدي يقول:
 - أولاً بالنسبة لهدير ، لقد عقد هاني قرانها على أخيه على الورق
 كإجراء وقائي حتى يبطل زواج نادر بها . و
 قالت مغضبة وهي تميل للأمام حيث يجلس مجدي وأبوها الشيخ عمار:
 - ولماذا لم يعلن هذا قبل أن يعقد عليها نادر فلا يتم العقد أصلاً؟
 قال دون تفكير بابتسامة من كان يتوقع سؤالها:
 - لسببين. الأول حتى لا يؤذيكما نادر أو يحاول بطريقة أخرى الوصول
 لأهدافه. والثاني إرباك نادر ومجاراته في أسلوبه.
 شعرت لأول مرة بالضيق من شيء يخص هاني وبدى ذلك في قولها:
 - وكيف يقحم ابنتي في تلك اللعبة . إنه
 قاطعها أبوها برفق وهو يستدير إليها بجذعه:
 - ليس هو من أقحمها يا حبيبتي. نادر هو الذي أقحمها وهو أخرجها بهدوء
 وسلام دون أن يمس نادر شعرة منها.
 قالت رحمة بصوت خالطه البكاء:
 - وما أدراك أنه لم يمس منها شعره؟
 أجابها مجدي :

لأنها خرجت من بيتك إلى سيارة نادر وكنت أنا أنتظرها في السيارة متخذاً مقعد القيادة بعد أن أفقدت السائق وعيه عندما كان نادر ورجاله داخل الفيلا. وانطلقت بالسيارة بمجرد أن ركبت هدير.

- وهدير كانت تعلم ذلك ، أليس كذلك؟

- كلا ياسيديتي .

- ولكنها كانت ثابتة واثقة في حين كنتُ أنا أبكي وأرتجف.

أوقف مجدي السيارة أمام قسم الشرطة قائلاً:

- لا أدري ياسيديتي. ولكني واثق أنها لا تعرف شيئاً. فتلك الخطة وضعتها أنا وهاني وهو الآن في السجن ولم يرها خلال الفترة الماضية.

تذكرت رحمة موقف المستشفى . فقالت في نفسها:

- لقد قال لها كلاماً ذلك اليوم بدلها تماماً أكيد هو الذي أعطها كل هذه القوة وهذا الثبات.

ثم توجهت لمجدي قائلة :

- وأين هاني الآن؟ لقد ذكر ذلك الـ ... أنه رآه في المملكة.

شعرت بغصة في حلقها منعتها من نطق اسمه. ولكن مجدي فهم قصدها. فأجابها وهو يفكر بعمق:

- هذا مالا أفهمه. هاني لم يغادر سجنه في القاهرة.

فتح باب السيارة وترجل منها وهو يقول ولكني سأتحري الأمر.



تطلع شهاب إلى رحمة بمزيج من الامتنان والشفقة وهي تغادر هي وابنتها وأبوها . كان ممتناً لها لأبعد حد . لقد أسرته بكرمها. لقد فعلت كل ما طلبه

لمنال دون أي مناقشة، وإن فعلت كل ذلك من أجل هاني. لما علمت أن شهادتها في صالح هاني وضد نادر بذلت كل ما بوسعها . وعدت بوظيفة لمنال مرتبها سار منذ هذا اليوم وشقة في المملكة . بل وعدتها بمساعدة أخيها أحمد بالعمل في مستشفى المملكة بعد تخرجه براتب مغر. أما الإحساس بالشفقة فمبعثه الحزن الذي يخيم عليها وعلى كل سكناتها ولفظاتها.

- هيا يا شهاب. لقد تأخر الوقت. نريد أن ننتهي من أخذ أقوالك أنت ومنال.

التفت شهاب إلى مجدي قائل العبارة ونقل بصره منه إلى منال وفي صدره أمواج متلاطمة من المشاعر المختلفة . شعور بالقلق على هاني. وأمل في إنقاذه بشهادة منال ضد نادر. وشعور بآلام جراحه التي لم تندمل بعد. أمواج من قلق مبهم تعلو ثائرة في قلبه.

قال وهو يتحرك خلف مجدي وينظر إلى منال التي تقف إلى جواره أمام قسم الشرطة حيث أوصلتهم رحمة بسيارتها:

- عندي أمل كبير في ذلك. إن شهادتها ستقوي موقفه لدرجة عالية.

رآها شهاب تتلفت حولها مرتجفة في رعب. فتطلع إليها في حنان قائلاً:

- لا تخش شيئاً يا منال سيكون كل شيء على ما يرام بإذن الله.

سارا خلفه في صمت والجنود يؤدون التحية العسكرية باحترام كلما مروا على أحدهم.

جلس خلف مكتبه وهما على المقعدين المتقابلين أمامه وقال موجهاً حديثه لمنال:

- لا تخافي شيئاً يا سيدتي. أنت لست مقبوضا عليكي أنت الآن شاهده وسأبذل قصارى جهدي لتحسين وضعك في القضية . وأما نادر فهو في السجن الآن .

التقط قلما وعدة أوراق وبدأ يأخذ أقوالها . اعترفت له بكل كلمة دارت بينها وبين نادر. وبينها وبين المعتدين. قال بزهوة نصر:

- هكذا أحكمت قبضتي عليك ياسيد نادر.

كاد شهاب ينطق بقول ما لولا طرقات قوية على الباب فُتِحَ على إصرها. ودلف إلى الغرفة رجل قوي البنية يميل للبدانة أشيب الفودين ذو ملامح صارمة . ما أن رآه مجدي بزیه العسكري والنسر و نجمة إلى جواره حتى هب واقفا مؤديا التحية العسكرية. وقف شهاب بوجل ومنال برعب لمرآه خاصة عندما أشار لمجدي بالتنحي عن مقعده. أسرع مجدي بالابتعاد عن المقعد والقلق يقتحم قلبه بعنف. هذا الوجه لا يبشر بخير. قال الرجل وهو يسرع إلى المقعد:

- أنا العقيد مختار وهدان. أنا المسئول هنا الآن.

أخرج ورقة من جيبه وألقاها على المكتب في اتجاه مجدي قائلا ببرود:
- هذا خطاب نقلك إلى الأقصر.

طالع الأوراق التي أمامه ومجدي يطالع خطاب نقله وقال قبل حتى أن ينتهي مجدي من مطالعة خطابه:

- ما هذا ؟

رفع عينيه القاسيتين بنظرة ظفر إلى شهاب ومنال قائلا:

- لماذا يقولون عنك أنك لا تجيد عملك إذن؟ لقد قبضت على الخائنة الهاربة التي كانت حلقة الوصل بين المجرم هاني والبلطجية الذين استأجرهم والملثم الأخير. عمل جيد.

قال مجدي بحلق وصوت متحشرج مختنق:

- ليس أحد المثلثين باعترافهم أنفسهم . لقد كان يدافع عن هاني وعندما قاوم رجال الشرطة كان يظنهم من المعتدين لعدم وضوح الرؤية حينئذ . وخروجه من معركة مع أ.....

أشار له العقيد مختار أن يتوقف . صمت بعدها لبرهة ثم قال ببرود صارم:

- لقد انتهى دورك في هذه القضية . من المفترض أن توقع غدا في قسم الشرطة الجديد.

هم مجدي بقول شيء ما فأوقفته صيحة غضب من العقيد مختار:

- هل عندك مشكلة في السماع أيها الرائد؟ هيا غادر فوراً.

قال مجدي بغضب رغم فارق الرتب:

- ليس هذا أسلوب سليم في تسلم مكان ضابط آخر. المفترض أن نتناقش في الأ.....

ضرب مختار المكتب براحته غاضبا وهو يهب واقفا صائحا:

- وأنت من سيعلمني ما ينبغي علي فعله؟ أنت الذي يحدث اعتداء على أهم مكان في مدينتك الصغيرة ولا تفعل له أي شيء على الإطلاق. ثم في النهاية تقف إلى جوار المعتدين تحاول تبرئتهم.

جلس على مقعده مستعيدا هدوئه وإن تابع بغضب:

- يمكنني توجيه تهمة تواطؤ مع مجرم الآن لك لتخرج من هنا للشارع. ما يمنعني إلا احترامي لزيك العسكري.

ازدرد لعبه قبل أن يتابع مشيرا إلا الباب :

- هيا دون كلمة أخرى . ودعني أصحح أخطاءك قبل أن يعلم بها أحد.

استوعب مجدي وكذلك شهاب الموقف كله. لقد فسد كل شيء في آخر لحظة لقد كسب نادر هذه الجولة . وذهبت خطة شهاب أدراج الرياح. العقيد مختار متواطئ مع نادر . وتأكدت الصورة عندما طرقت الباب ثم فُتِح ودلف المكتب جندي وخلفه نادر . قال العقيد مختار وهو يشير لقيوده المعدنية:

- حرره من قيوده أيها الجندي. لماذا تنتظر أيها الرائد؟

غادر مجدي ونظراته تكاد تمزق نادر الذي يرمقه بتهكم وشماتة وظفر.

أسرع الخطى مغادرا قسم الشرطة استقل سيارته وانطلق بأقصى سرعة ممكنة . إن دوره لم ينتهي من اللعبة كما يظن العقيد مختار . وأهم ما يفعله الآن أن يخبر هاني بما حدث .



(8). التحدي

خدعة تافهة . لا أدري ما غايتك منها.

قالها نادر بسخرية واضعًا ساقًا فوق أخرى في وجه هاني الجالس أمامه في مكتب الضابط المسئول في قسم الشرطة المحجوز فيه هاني.

ابتسم هاني بسخرية قائلاً وهو يضع ساقًا فوق أخرى بدوره :

أية خدعة تقصد أيها المغرور؟ أنت المخادع الكبير.

نظر إليه باحتقار قائلاً:

خدعة شبيهك الذي اشترى أسهم جابر في المملكة.

ابتسم هاني متهمًا وهو يقول:

ولماذا لا يكون هو الأصلي وأنا هنا الشبيه ؟

ضاقت عينا نادر الثعلبيتين وهو يتفحصه بصمت قبل أن يقول:

على الرغم من أنك تبدو مختلفًا قليلًا بلحيتك هذه إلا أنني لا يمكن أن أخطئك.

قالها وأبى أن يعترف أن هاني يبدو أكثر قوة وثباتًا من ذي قبل .

ونظرة الثقة في عينيه قد تجاوز ارتفاعها حدود المكان. لكن عينا هاني

الثاقتين إنقطا ذلك الشعور في عينيه وصوته وهو يستطرد:

- واثنان لا يخطئهما المرء. أحب إنسان وأبغض إنسان.

ارتفع صوت ضحكة هاني الساخرة وهو يقول :

- وأنا بالنسبة لك من الفئة الأولى طبعًا.

ثم أردف بنظرة تحدي :

- ولماذا تنكر الاختلاف الآخر؟

حدق فيه نادر بدهشة . هل من الممكن ان يكون هاني قد استشف في أعماقه. مال هاني قليلا إلى الأمام قائلا:

- تشعر أنني قد ازددت قوة.

ثم اعتدل قائلا بامتنان مصطنع:

- حقيقة لا أدري كيف أستطيع أن أشكرك على فترة السجن هذه. لقد تمكنت فيها فيما كان يصعب علي فعله في الخارج . التدريب والقرءان. لقد كان لدي وقت كاف لكليهما مما وهبني قوة عظيمة فصرت غير قابل للهزيمة.

- من تظن نفسك يافتى كي تتحداني؟ ألا تعرف من أنا ومن أنت؟

أسند هاني ظهره إلى ظهر مقعده مسترخيا قائلا بتهكم:

- طبعا أعرف من أنا. أنا هاني عامر الذي انتزع منك بطولة الجمهورية في المباراة مرتين. أنا هاني عامر الذي أفسد خطتك في قتل أبيك والاستيلاء على ما يمتلكه في المملكة. أنا هاني عامر الذي انتزع منك ما اغتصبته من المهندس حامد وأعدته إليه. أنا هاني عامر الذي أفسد خطتك في الزواج من هدير والتهام نصيبها في المملكة. أنا هاني عامر الذي أثبت زيف زوجة رشدي المزعومة فأصبحت خطتك بفضلتي بالتعاون مع الرائد مجدي هشيما تذروه الرياح. أنا هاني عامر الذي صرت بفضلله لا تملك شيئا في المملكة بعد أن كانت قاب قوسين أو أدنى من يدك. أنا هاني عامر الذي صار له جزء في المملكة.

صفق نادر بيديه ضاحكا بتهكم وأشعل سيجارا وهو يقول:

- لقد أثرت انبهاري حقا.

نفث دخان سيجاره في وجه هاني وهو يميل للأمام قائلاً:

- إن كان الحظ قد حالفك مرة هذا لا يعني أنك الأذكى .

نهض هاني مبتعداً عن الدخان قائلاً:

- كل ما عدده يساوي مرة واحدة. يبدو أنك ضعيف في الحساب أيضاً.

- مازالت المعركة مستمرة. وأنت فقدت كل أسلحتك وتجلس هنا في السجن وقضيتك ليست بالهينة وشهاب أيضاً ومنال التي جندها لصفك لتشهد ضدي دُحِضت شهادتها. وصارت هي وشهاب شركاءك في جريمته. أنا أربح هذا. أما خطة الإستيلاء على المملكة لم تنته بعد.

فهقه هاني بأسلوب استعراضى وهو يتجول في الغرفة قائلاً:

- تعرف ما مشكلتك الحقيقية؟

صمت قليلاً يتبادل نظرة التحدي مع نادر قبل أن يقول باستهزاء:

- مشكلتك أنك تحسب نفسك ذكياً. وأنت لست كذلك. مستواك العقلي لا يتعدى المستوى الطبيعي لعامة الناس.

لم يستفز أسلوب هاني نادر بخلاف طبيعته. مما جعل هاني يتيقن من أن نادر يدبر شيئاً. قال نادر قاطعاً أفكاره بثقته الزائدة:

- سترى مالذي سيفعله هذا المستوى العقلي المتوسط. ولنر ماذا سيفعل منتحل شخصيتك في الخارج. وما الذي يمكنك فعله من هنا؟

جلس هاني على حافة المكتب وهو يقول مبتسماً بتهكم وثقة:

- أستطيع أن أفعل الكثير. أكثر مما يمكن لعقلك الصغير إدراكه .

اتسعت ابتسامه نادر الواثقة الساخرة وهو ينظر في ساعته ثم يقول:

- هل تدري أين أمك وأخوك وأختك الآن؟

قال هاني ببساطة وهدوء:

- في طريقهم إلى المملكة حيث سيستقرون في فيلا رحمة.

استرخى نادر في مقعده ينفث دخان سيجارته بثقة ساخرة قائلاً:

- ومعهم رحمة وابنتها أليس كذلك؟

عقد هاني ساعديه أمام صدره في ثقة وهدوء أدهش نادر قائلاً:

- لهذا أتيت . لتتأكد أنني أنا هنا في السجن وآخر ينتحل شخصيتي في الخارج.

داعب هاني لحيته الصغيرة بأنامله اليمنى وساعده الأيسر لا يزال على صدره وقال بأسلوب معلم مع تلميذه:

- اسمعني جيداً يا بني. عندما تواجه خصماً وتحاول إعداد خطة

لمواجهته عليك دراسته أولاً وتقدير قدراته ثم تنحي غرورك جانباً وبعد ذلك تبدأ في إعداد خطتك.

نفث نادر دخان سيجارته في وجه هاني قبل أن يقول ساخرًا:

- بدلاً من تقمص دور المعلم تخير من تريد حياً من عائلتك

الكريمة . فأنا لا أميل لقتل الجميع دفعة واحدة. يعني ... أنت تفهم

مثل هذه المواقف. أريد أن يبدو الأمر كحادث . أما إن كنت ترغب

في التخلص من الجميع، فلا بأس يمكنني أن أضغط على نفسي

وأقدم لك هذه الخدمة عن طيب خاطر.

اتسعت ابتسامه هاني الواثقة قبل أن يقول:

- كم رجلا أرسلت لاصطناع حادث الطريق لأسرتي؟
 اتسعت ابتسامة نادر وإن خالطها بعض الدهشة والحذر:
 - ما يكفي للقضاء على منتحل شخصيتك .

مال هاني نحو نادر وقال بهمس :

- وكم رجلا أرسلت لقتل والدك؟

تجمدت ابتسامة نادر على شفثيه وتلاشت منها السخرية وخرت عليها
 الصدمة . فاتسعت ابتسامة هاني وقد أصاب سهمه هدفه. اعتدل هاني
 واقفا وابتعد عنه قائلا بتعال:

- رغم كونك أكبر مني سنا . ورزقت بأب ذو خبرة وحكمة عاليتين.
 ورغم أنك ولدت وترعرعت في عالم التجارة والأعمال إلا أنك لم
 تستفد من هذا كله إلا الغرور والجشع.

مال نحوه وهو يردف :

- والغباء.

هب نادر واقفا بغضب وهو يصيح:

- حتى وإن كنت توقعت هذا أو علمته. ماذا يمكنك أن تفعل؟ أو ماذا
 يمكنك لمنتحل شخصيتك أن يفعل؟ لقد أعددت خطتي جيدا. ولن
 ينجو منها أحد إلا من أريد.

عقد هاني ساعديه أمام صدره قائلا بتهكم:

- وهذا ما يؤكد رأيي أنك محدود الذكاء.

بدأت موجات الغضب تعلو في عيني نادر وصوته وهو يقول:

- ما رأيت غرورا مثل غرورك من قبل . يا غلام أنت لا تملك ما يؤهلك لهذا الغرور.
- وأنت تمتلك يا أستاذ الغرور؟
- غدا ترى.
- ليس غدا يا صاحبي. بل الآن . ألم ترسل رجالك للقضاء على أهلي وأبيك؟ لماذا لا تتصل عليهم لنر من منا الذكي ومن الغبي ؟
- إلتقط نادر هاتفه المحمول من جيب سترته واتصل بآخر رقم تم الاتصال به دون أن يرفع عينيه عن عيني هاني تكاد تسمع صليل سيوف نظراتهما المتحدية لمحدثه دون كلمة واحدة لدقيقة أو أقل قبل أن يقول بتشف:
- سيارة سيدتك رحمة تحملها وعائلتك كلها على الطريق الآن بين المطرقة والسندان.
- ابتسم هاني وبسط يديه طلبا للمصافحة قائلا:
- نادر بيك لما لا نبدأ صفحة جديدة سويا ؟ لقد صرنا شركاء في المملكة بصفقتك ابن عبدالله بيك لا كمالك فعلي. ولكن إن تعاوننا سويا يمكننا
- قاطعة نادر بحدة وغضب طار بهما الكبر عاليا:
- من أنت أيها الغبي حتى أضع يدي في يدك؟ أنت نكرة. أنت لا شيء.
- هب واقفا وهو يواصل هتافه ملوحا بسبابته في وجه هاني:
- المملكة لي وحدي . أنا الذي شيدتها وأشرفت على كل حجر فيها . لن يأتي صعلوقٌ مثلك لينتزعها مني. وإن كنت حصلت على بعض المكاسب فأنا أيضا حصلت على الكثير وسترى .

انطلق رنين هاتفه فنظر إلى شاشته بشراسة قائلا :
- وهاك أول ضربة.

وما أن استمع إلى محدثه حتى احتقن وجهه بشدة فتعالت ضحكت هاني الساخرة. نظر لنادر بتشف لحظات ثم قال له وهو يبعد الهاتف عن أذنه باحتقان:

- المطرقة والسندان فكرة قديمة . سيارة كبيرة تعترض الطريق
وسيارة أخرى من الخلف لتضرب السيارة الهدف من الخلف
و

فرق بإصابعه مستطردا بتهكم:

- تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن. تحولت الفريسة لمفترس.
يبرز رجل من السيارة ويطلق النار على التي تطارده فيتخلص
منها ومن ثم يتفادى التي تعترضه ببساطة ثم يقبض على الجميع.
أتدري من هو؟

أجابه نادر باحتقان وجهه وشرر الغضب في عينيه. فاستطرد هاني
بشماته:

- ليس شبيهي كما توقعت بذكائك الفائق. بل هو ضابط شرطة
شريف ليس كصاحبك وليس مجدي طبعاً فلقد أرسله صاحبك
بعيدا. ولكن الشرفاء لا ينتهون مهما كثر الفساد.

استعاد نادر سيطرته على أعصابه ورسم ابتسامة ثقة وتهكم على
شفتيه وإن ظل وجهه محتقنا . صفق بيديه قائلا:

- أهنئك على هذا . أحسنت. ولكن خبرني . متى سيظهر شبيهك؟
هل سيحاول إنقاذ أبي ؟

- من قال أن لي شبيهه؟ لقد صرت أمتلك قدرات سحرية أستطيع ان أتواجد في أكثر من مكان واحد. ويمكنني أن أنقذ والدك في نفس الوقت.

اتسعت ابتسامة نادر وازدادت ثقة في حين تابع هاني:

- لكن لماذا أحاول إنقاذه؟

ارتسمت الدهشة على وجه نادر وضافت عيناه بتفكير عميق يحاول النفاذ من عيني هاني إلى عقله ليستوعب ما يرمي إليه. فأراحه هاني من هذا العناء قائلاً:

- لمصلحتي أن تنجح في قتله.

صمت من جديد ليلهب حيرته حتى لم يعد نادر قادر على احتمال لهيبتها فسأله من بين أضراسه:

- وكيف يكون ذلك في مصلحتك يا عبقرى؟

استرخى هاني في مقعده أكثر قائلاً بهدوء من يناجي صديقاً ودوداً:

- لقد باعني كل أسهمه في الشركة تحسباً لهذا حتى لا تفز بشيء كميرات.

هب نادر واقفاً وهو يهتف بغضب:

- أنت كاذب . هذا ليس حقيقياً.

وقف هاني بدوره قائلاً بهدوء قاتلاً:

- أنا لا أكذب أبداً . لقد تم البيع بالفعل . وبالأمس فقط أودعت قيمة الأسهم في البنك في حساب والدك.

احتقن وجه نادر وازداد احتقاناً عندما دق هاتفه وأبلغه محدثه انا هذا الجزء من الخطة قد نجح . لقد تم تفجير البيت بعد أن ولجّه عبدالله والد نادر .



تحركت رحمة كفراشة . يشرق وجهها الجميل بالسعادة. تتأملها والدة هاني تارة بانبهار لجمالها وتارة إشفاقاً عليها لرققتها وما مرت به من أحزان. ثم تتذكر عمرها و أنها تكبر هاني بعشر سنوات. وكونها أرملة يزيد من ضيقها . على الرغم من أن هذا لا يظهر في ملامحها ولا خفتها في الحركة . بل أحيانا تُشعر من يعاملها بأنها طفلة في السادسة من عمرها لبراءتها.

انتهت رحمة من تجهيز مائدتي العشاء واحدة في الردهة لوالدها الشيخ عمار وعلاء أخو هاني . والثانية في المطبخ لها ولوالدة هاني ومنار وهدير. نادت على منار وهدير من حجرتهما في الطابق الثاني حيث يذاكران.

قالت لها هدير مداعبة:

- ما هذا النشاط كله يا رَحُومة ؟ وما هذا الإشراق في وجهك؟

ارتبكت قليلاً وإن دارت هذا قائلة:

- أنا والدتك يا بنت لا تنادينني هكذا .

قالت منار وهي تسرع الخطى نازلة السلم :

- أتحدى أي شخص يراكما ولا يجزم أن هدير هي أختك الكبرى.

أشارت لهما إلى المطبخ قائلة بنفاد صبر:

- هيا أيها الثرثارتان . كان اليوم طويلا ولا ينقصه المزيد من
ثرثرتكما. هيا أسرعاً ولا تضيعا المزيد من الوقت، الامتحانات
على الأبواب و

قاطعتها هدير بملل مصطنع:

- والثانوية العامة سنة مصيرية، تحدد شكل حياتك المقبلة. وكل
دقيقة تسـ إلخ إلخ. لقد حفظنا هذا الكلام. أليس لديك
أسطوانة أخرى؟

وكزتها رحمة في كتفها ودفعتها في اتجاه المطبخ صائحة :

- قلت لا مزيد من الثرثرة. أسرعاً.

نادت رحمة على والدها وهي تسرع خلفها إلى المطبخ. التففن هن
الأربعة حول المائدة المستديرة الصغيرة ورحمة تقول مشجعة:

- هيا يا أمي سم الله .

لمحت نظرة أسى في عيني والدة هاني فربتت على راحتها قائلة:

- سيخرج قريباً إن شاء الله.

قالت هدير مداعبة بخبث :

- وسنجتمع جميعاً على مائدة واحدة .

وكزتها منار هذه المرة وهمّت بقول شيء ما لولا ارتفاع رنين جرس
الباب . انتفضت رحمة برعب جذب عيون الثلاثة إليها بإشفاق . ضمتها
والدة هاني بحنان مطوقة كتفها قائلة:

- اهدي يا بنيتي . لا داعي لهذا الفرع. لقد قبضت الشرطة على

رجال نادر الذين أرادوا مهاجمتنا . ولا أظنه يجرؤ على فعل شيئاً
آخر الآن.

قالت رحمة مرتجفة:

- إنه جابر. أشعر به. قلبي يرتجف رعباً لصوت قرعه الجرس.
ضمتها أكثر. وقالت وهن جميعاً ينصتن لخطوات علاء وهو يقترب من
الباب:

- لا تخافي يا بنيتي . سيكون كل شيء على ما يرام.

ازداد ارتجافها وصوت جابر الخشن يرتفع بغير تهذيب:

- عام كامل لتفتح الباب. ثم من أنت أصلاً وماذا تفعل هنا؟

أسرعت رحمة مرتجفة كعصفورة بللها المطر ترتدي نقابها ووالدة
هاني تنهض خلفها قائلة لمنار وهدير:

- لا تغادرا المطبخ مهما حدث.

خرجت مع رحمة المرعوبة المترددة وصوت علاء يقول بغضب:

- كيف تدخل هكذا بغير استئذان. ألا تعرف شيئاً اسمه الأدب؟

شاهدتا جابر وحارسه يقتحمان البيت والأول يقول:

- تذكرتك . أنت أخو هاني لقد تقابلنا من قبل. يبدو أنكم احتلتم
بيتي.

التفت إلى رحمة قائلاً بغضب:

- لقد تماديت كثيراً يا قطي. أحضرت العائلة كلها لتعيش في بيت
أخي الجديد في المملكة.

كاد يقول شيئاً آخر لولا قاطعه عمار بصرامة وغضب:

- انتهت زيارتك يا جابر . خذ رجلك وارحل.

تقدم جابر نحوه وهو يصيح:

- زيارة؟! من قال أنني جئت زائرا؟ لقد جئت مقيما.

التقط قطعة لحم من فوق المائدة قائلا بتهكم:

- ومن دفع ثمن هذا الطعام؟ أكيد من مال أخي الذي هو مالي.

حاولت رحمة أن تقول شيئا لولا اندفاع علاء نحو جابر يجذبه من ذراعه هاتفا:

- لم يدعك أحد.....

قاطعته فريد حارس جابر بركلة قوية في صدره طرحته أرضا يتلوى في ألم. صرخت رحمة وأم هاني بفرع في حين التقط عمار طبق الأرز ألقاه في وجه فريد صائحا:

- ستندم أيها الحيوان.

وضع جابر قطعة لحم في فمه وراح يمضغها باستمتاع وهو يجلس على المقعد مراقبا فريد وهو يتفادى الطبق وينقض على عمار وقبض بيده القوية على عنقه ورفعها عاليا.

نهض علاء رغم ألم صدره واندفع نحوه ووثب بركلة لوجه فريد ثم كال له عدة لكلمات متتالية في وجهه قبل أن يلقي الشيخ عمار بكل قوته عليه فيسقطان أرضا. فقال جابر وهو يواصل مضغ اللحم:

- وكما ترون العنف لن يجدي. ففريد يستطيع سحقكم جميعا في دقائق معدودة.

خرجت منار وهدير فزعتين ورحمة وأم هاني تهرعان إلى الشيخ عمار الذي عجز عن النهوض يمسك عضد ذراعه الأيسر بألم شديد قاومت رحمة رعبها وقالت من وسط دموعها:

- ماذا تريد يا جابر؟

ابتسم ابتسامة جشع مقبته وهو يزدرد مضغة اللحم قائلا:

- أنت تعلمين جيدا ما أريد. لقد ألقيت عرضي من قبل وأعطيتك مهلة للتفكير. وهاقد انتهت.

تحولت لهجته للوحشية مستطردا:

- ستخبريني قرارك الآن وفورا. إما نتزوج أو توقعي عقد بيع بنصيبك ونصيب هدير من أسهم المملكة أو

صمت ليزيد من وحشيته قبل أن يتابع:

- أو يقتلكم فريد قبل أن أغادر ومعى بصماتك على العقود.

شعرت رحمة باليأس لقد خسرت معركتها. ليس أمامها إلا الاستسلام . كادت تنفوه بكلمة توافق بها على التنازل لولا ارتفاع صوت خطوات واثقة تعبر الباب المفتوح إلى داخل البيت. وصوت غاضب واثق يهتف:

- جبان خسيس دوما يا جابر.

انتفض جابر بذعر وهو يهب واقفا فيرتج كرشه الضخم بعد أن ضرب المنضدة لسماعه الصوت. لقد كان هاني . تحفزت عضلات فريد وهو يواجه هاني قائلا بسخرية:

- تتناول بلسانك وكأنك تستطيع فعل شيء.

تمالك جابر نفسه وأخفى رعبه لما تذكر حارسه. في حين تأمل علاء ومنال وهدير هاني في شك. فهاني في السجن وهذا يبدو مختلفا قليلا. لكن رحمة و والدة هاني عرفا أنه ليس هاني ولكنه بالتأكيد أتى للمساعدة . وانتعش الأمل في صدر رحمة من جديد. إن هاني يواصل حمايته لها حتى وهو في سجنه . يتوقع خطوات خصومه ويعد دفاعاته

لكل حركة . يتحرك مجدي ومعه مجموعة من رجال الشرطة متتكرين في أزياء تشبههم في سيارتها ثم يواجهوا رجال نادر ويقبضوا عليهم. ثم توقع غدر جابر وأرسل صديقه الذي ينتحل شخصيته.

- جيد أنك جئت لتلقى عقابك على خداعي. تشتري مني الأسهم ببضعة ملايين وأنت تعلم أن زوجة رشدي المزعومة مزيفة.

ابتسم هاني ساخرا وهو يواصل تقدمه نحو فريد :

- يا عزيزي أنا الذي أثبت زيف عقد زواجها . عن طريق إثبات أن رشدي لم يكن في مصر في نفس تاريخ العقد. وهذا من خلال جواز سفره . شيء بسيط ليس فيه ذكاء . مما يدل على غباك أنت.

نظر في عيني فريد بتحدٍ وهو يتوقف على بعد خطوة واحدة منه متابعا:

- أما البيع. فليس فيه خداع . عرضت عليك سعرا وأنت واقفت

صاح جابر بغضب هادر ارتج له شحمه كله:

- ماذا تنتظر أيها الغبي؟ مزقه تمزيقا.

أعقب قوله رنين صفعه شقت الأذان وخاصة أذن فريد اليسرى تلاها قول شبيه هاني:

- الجبناء لا تظهر قوتهم إلا على الضعفاء . أم.....

لم يمهل فريد حتى يكمل إذ زمجر كثور هائج ووثب في وجه هاني بسلسلة من الضربات القوية التي يتقنها ببراعة تفادها هاني بمرونة مذهشة وهو يتابع جملته بكلمات منفصلة:

- لم ... تعلمك أمك أدب..... الحوار..

بين كل كلمة والتي تليها كان يتفادى ضربة أو اثنين أو يثب مبتعدا من فوق قطعة أثاث. ثم دوت الصفحة الثانية أعقبها قول هاني وهو يثب مبتعدا عن مرمى ضرباته:

- وسأسديك هذه الخدمة مجانا. سأعلمك هذا الأدب. إياك أن تفعل ذلك مرة أخرى.

ازداد هياجا وراح يقذف ويركل كل مايقابله في وجه هاني بجنون. وأصابه بمقعد في كتفها واختل توازن هاني وقبل أن يحفظ توازنه وثب فريد بركله في صدر هاني أودعها كل قوته كانت كفيلة بتحطيم ضلعين أو أكثر وشعر بقدمه تصيب صدره بالفعل وسمع صوت الأضلع وهي تتحطم ولكن الصرخة.....

لم تكن صرخة هاني كان صوت سيده جابر. وقف مبهوتا لا يقدر على فعل شيء لقد خدعه هاني وجعله يحطم أضلع سيده جابر.

- وهذا الدرس الثاني. الغضب . لا بد أن تتحكم في غضبك عندما تقاتل شخصا ما .وإلا

صمت مشيرا إلى جابر الذي يتلوى أرضا لا يستطيع أن يلتقط أنفاسه. و اقتحم رجال الشرطة البيت . وماهي إلا ثوان وكانوا يطوقون هاني و فريد شاهرين أسلحتهم في وجوههم.

ساد الصمت لحظات إلا من صرخات جابر المكتومة ألما وآهات الشيخ عمار. ولج العقيد مختار ومعه نادر وخلفهما مجموعة من رجال أمن المملكة بملابسهم الموحدة الزرقاء كلون عيون نادر الثعلبية . قال نادر بظفر شامت:

- أخيرا وقعت في يدي . ظننت أنت وهاني أنكما قادران على خداعي؟

ابتسم شبيه هاني بتهكم في حين قال مختار بصرامة:

- ما الذي حدث هنا بالضبط؟

أسرع نادر يجيبه:

- هذا هو الرجل الذي ينتحل شخصية هاني . وهو الذي تزوج هدير

لكي يمنعني من الزواج بها باسم ناصر عامر. وطبعاً ليس هناك

أحد بهذا الاسم.

ثم نظر في عيني هاني ساخراً واقترب منه وجذب لحيته فمنعه ممسكاً

يده حتى لا يمزق القناع ثم انتزعه برفق شديد والجميع يتابعونه

بذهول. ثم انتزع جهاز تغيير الصوت أسفل حنجرته وقال بصوته

الحقيقي :

- لا يمكنك تخيل كم كلفني هذا.

تراجع نادر متهمكاً متأملاً وجه ياسر المتصعب عرقاً:

- ياسر! ياله من غياب! وكنتما تظنان أنكما أذكى مني؟

لم تتغير ابتسامة ياسر الواثقة وإن كان بالفعل لا يدري كيف سيخرج

من هذا المأذق. لم يكن هذا في الحسبان . ولكن والدة هاني أنقذت

الموقف قائلة موجهة كلامها للعقيد مختار:

- يا سيدي هذا الرجل وحارسه اعتديا علينا و ضرب حارسه هذا

ابني علاء والشيخ عمار وهدد السيدة رحمة بالقتل إن لم تبع له

كل ما تملك من أسهم المملكة . وهذا الشاب

و أشارت إلى ياسر متابعة:

- هو ياسر صديق ابني هاني مدير أعمال السيدة رحمة. وكان ضيفا عندنا وهو الذي أنقذنا من جابر وحارسه. أما موضوع زواج هدير فقد تم بالفعل من ابني ناصر عامر توأم هاني.

حرق فيها الجميع بدهشة ونادر يصيح بغضب:

- كذب . هذا كله كذب لا يوجد أحد اسمه ناصر عامر لقد تحررت جيدا لا أحد في شارعكم في القاهرة يعرف هذا الشخص والجميع يؤكدون أن هاني ليس له أخوة غير علاء.

قالت بارتباك:

- لأنه لم يطأ القاهرة مطلقا إنه كان يعيش في قرينتنا مع عمه.

عاد نادر يصرخ:

- وكيف نصدق هذه الكذبة . تنتقلون للعيش في القاهرة وتتركوه وحده؟ لماذا؟

تجاهلته وهي تقول للعقيد مختار بارتباك وتردد واضحين:

معي شهادة ميلاده . يمكنني أن أحضرها من غرفتي.

أشار لها العقيد مختار أن تفعل. وهو ينقل بصره بين رحمة التي جثت على ركبتيها بجوار أبيها تبكي وجابر الذي يتلوى ألما ويمسك صدره بكلتا يديه. وحارسه يقف منكمشا رغم ضخامته وعضلاته المفتولة . قال ياسر موجه حديثه لقائد رجال أمن المملكة مستنكرا:

- كابتن عادل؟! أنت تعمل مع نادر؟!

أجاب نادر باستنكار :

- هو لم يرتكب حماقة . مهنة محترمة بمرتب مجزي. أما أنت تعمل تحت يد هاني باشا بلا مقابل. والأعجب أن العشرات يعملون تحت

يدك هم أفضل من هاني هذا. لماذا؟ لا أستطيع استيعاب موقفك هذا. تترك مصنعك و أعمالك وعروسك التي لم يبلغ زواجك بها شهرا بعد وتلهث خلف هاني تخاطر بحياتك وتلقي بأموالك تحت قدميه. ما الفائدة؟

ابتسم ياسر ساخرا وأم هاني تنزل السلم عائدة وفي يدها شهادة ميلاد بالفعل. وأجابه ببساطة:

- هذا شيء يفوق إدراكك يافتى. شيء اسمه الصداقة. رابطة اسمها الحب تنشأ بين قلبين. هذه معاني لا يمكن لأمثالك فهمها.

ابتسم نادر ساخرا و العقيد مختار بقول:

- سلمني هذا القناع.

قال ياسر معترضا:

- طبعا لا. أنا لست متهما بشيء وهذا شيء اشتريته وما ارتكبت جرما به وما فيه مخالفة قانونية.

تناول مختار شهادة الميلاد من يد والدته هاني صائحا:

- من قال هذا تنتحل به شخصية سجين وتقول ليس مخالفة قانونية؟

- أنا لم أنتحل

قاطعه نادر بثورة:

- بل فعلت. لقد ذهبت إلى مقر الشركة واشتريت أسهم جابر.

قال ياسر بابتسامة نصر عريضة و مختار يطالع شهادة الميلاد متفحصا:

- أنا بالفعل ذهبت بصفتي ياسر لا هاني ومعى توكيل من هاني بإدارة أعمال السيدة رحمة نيابة عنه والتوقيع على العقود توقيعى أنا وليس هاني.

صاح مختار بصرامة:

- اعطني القناع.

كلا يا سيدي . ليس لك الحق في ذلك.

أشار مختار لأحد رجاله:

- اقبض عليه.

- قبل أن تقبض علي وتحاول إصاق تهما زائفة تعرف أولا من أنا؟

- ومن ستكون أنت إن شاء الله؟

- أنا ياسر شوكت الحكيم ابن الفريق شوكت الحكيم مدير أمن

القاهرة. هل ترغب في الاتصال به؟

امتقع وجه مختار بحنق وتطلع إلى شهادة الميلاد ثم قال لوالدة هاني بضيق :

- وأين ناصر هذا الآن؟

ازداد ارتباكها وهي تقول:

- لست أدري.

صاح نادر من جديد:

- هذا كله كذب . لا يوجد أحد باسم ناصر هذا.

توقفت سيارة الإسعاف أمام مدخل الفيلا فأسرع علاء وياسر يساعدان الشيخ عمار في ركوبها وكذلك فريد عاون سيده والشرطة تحاصرهما.

كلف مختار أحد جنوده بالذهاب لقرية هاني بعد أن أخذ عنوانها واستقل سيارته مع نادر الذي قال بمجرد أن تحركت السيارة:

- هل تصدق هذا؟ هل تصدق وجود هذا الأخ المزعوم؟
- نعم أصدق. من كلامك هاني لا يستهان بذكائه. وشخص بهذا الذكاء لن يخطئ مثل هذا الخطأ ويبتكر شخصية وهمية فتقديم عقد الزواج للشرطة ستعقبه تحريات للتأكد من صحة بياناته.
- فبالتأكيد يوجد ناصر. السؤال هو: أين هو؟ ولماذا لا يظهر؟ لو ظهر تنتهي مشكلة زواجك من هدير. فلماذا يختفي؟

ثم ابتسم وهو يواجه نادر قائلاً:

- ولكن لا تقلق نفسك يوم واحد أو اثنين وسيكون بين يدي.
- ثم أشار إلى مبنى متهدم والعمال يعملون في رفع الحطام على قدم وساق وآخرون يعيدون بناء الأماكن التي تم تنظيفها وقال:
- أنت لا تضع الوقت تعيد بناء فيلا والدك بأسرع ما يمكن.

تطلع إلى العمال بدهشة قائلاً:

- أنا؟! أنا لم أعط أية أوامر بهذا الشأن.

لمح عماد سكرتير والده وسط العمال فأسرع يقول:

- توقف يا سيادة العقيد لو سمحت.

توقف مختار بالسيارة فأرسل نادر أحد العمال لإحضاره. أتى عماد مهرولاً. فسأله نادر بصراحة:

- من الذي أمرك بإعادة البناء؟

أجابه بصوت حزين يشوبه بعض الارتباك:

- لا أحد يا سيدي . اعتبرت هذا أمر طبيعي. فسيادتك المالك الآن وبالتأكيد سترغب بالاستفادة منه. أنا أعمل لصالحك.

ظل نادر صامتا لبرهة قبل أن يشير إليه بالإنصراف قائلا بصرامة:

- لا بأس ولكن لا تفعل أي شيء آخر دون إذن مني.

قال عماد بإذعان:

- تحت أمرك يانادر بيك .

تحرك العقيد مختار بالسيارة ونادر يقول ملتفتا إليه:

- لي رجاء عندك يا مختار باشا. أريد الانتهاء السريع من إجراءات الوراثة وطبعا كل شيء متوقف على استخراج شهادة الوفاة. لقد أرسلت بقايا الجثة للطب الشرعي وفي انتظار التقرير.

صمت قليلا ثم أردف:

- ولكني سأبذل قصارى جهدي.

- لي رجاء آخر. شهاب ومنال.... أريدهما.

قال مختار بحذر متعجبا:

- كيف تريدهما؟

- أريد أن أتسلمهما.

قال مختار مستنكرا:

- لا تتسبب لي في المشاكل أو الحرج. لقد استبدلت شهادتهما بالاعتراف الذي يرضيك في محضر الشرطة الذي فتحه مجدي لهما قبيل وصولي. وهذا أقصى ما أستطيع فعله. أما تسليمهما لك هذا مستحيل.

قال نادر متوددا:

- وأنا لا أَرْضَى لك المشاكل . كل المطلوب تعلمني وقت ترحيلهما للقاهرة وتخفف الحماية عليهم. وستكون القصة قصة هرب لا أكثر.

توقف مختار بالسيارة أمام قسم الشرطة وهو يقول بتردد وتفكير:

- دعني أفكر في الأمر.

ترجل نادر من السيارة وهو يقول بمرح:

- لن أضغط عليك ولك حرية الاختيار . المهم تعال شاهد سيارتك الجديدة.

تعجب مختار قائلا وهو يغادر السيارة:

- أية سيارة !؟

اقترب نادر من سيارة حديثة عالية الثمن على مقربة من السور قائلا وهو يشير إليها:

- هذه يا صديقي العزيز.



عشرات المطارق تضرب رأسه مع شعور بالبرد يزحف على جلده. فتح عينيه لم يستطع الرؤية بوضوح ، ضوء شاحب من مصباح صغير أعلى أحد جدران غرفة صغيرة بلا أي فرش نافذة صغيرة تغلقها شبكة حديدية. بدأت عيناه تعتادان الإضاءة الضعيفة.

قدماه مقيدتان بإحكام ويديه أيضا مقيدتان خلف ظهره. ملقى على الأرض. اعتدل ياسر جالسا يتلفت حوله مندهشا رأى شابا وفتاة. الشاب بذراع واحدة وشعر طويل هتف فزعا عندما تعرفه:

- شهاب شهاب أجبني يا صديقي.

هب شهاب جالسا فزعا يهتف:

- منال .. أين منال؟

- خلفك تماما.

هب واقفا مستديرا إليها قائلا برعب:

- منال . استيقظي . هل أنت بخير؟

هدأ لما رآها تتململ في رقدتها مستيقظة فأعاد سؤاله وهو يجثو على ركبتيه إلى جوارها وذراعه مقيد إلى خصره خلف ظهره:

هل أنت بخير يا منال؟

اعتدلت منال بصعوبة وقالت بخوف:

- ما الذي حدث يا شهاب؟

قال شهاب بارتياح:

- الحمد لله أنك بخير.

قال ياسر بحنق وهو يتفحص الحجرة تحت الإضاءة الخافتة:

- يبدوا أننا خُطِفْنَا يا شباب.

قالت منال برعب وصوت باكٍ:

- إنه نادر. أليس كذلك.

أجابها ياسر بغضب:

- ومن غيره؟

تناهت إلى مسامعهم أصوات بشرية وصوت باب يغلق. اقتربت الأصوات منهم وبدأت تتضح نبراتهم. كان أحدهم نادر يقول:

- أليست مبالغة قليلا هذه الخطة؟

الأغرب كان صوت مجيبه . جعلهم يتبادلون نظرات الدهشة كان يقول:

- ليست مبالغة . وحتى إن كان فيها بعض المبالغة فهي ممتعة.

قالت منال بارتياح وعدم فهم:

- هذا الصوت يشبه صوتك يا شهاب .

أصدر رتاج الباب المعدني صوت دوران المفتاح فيه ثم فتح للداخل وبرز على عتبه ثلاث فرسان من رجال أمن المملكة شاهرين شيوفهم ثم تراجعوا ودلف الحجرة نادر وشهاب. بشعره الطويل وجسده القوي الممشوق الذي يميل قليلا للضالة. شيء واحد كان مختلفا عن شهاب الجاثي على ركبتيه بجوار منال ، لم يكون بذراع واحدة ، كان بذراعيه كلتاهما.

قال نادر موجهها كلامه إلى منال باحتقار:

- كيف حالك الآن يا منال؟ هل اخترتي الفريق الصحيح؟

اقترب منها وهو يتابع:

- هل مذاق الخيانة جيد؟

أجابه شهاب ببغض شديد:

- أنت تسأل عن مذاق الخيانة؟ كيف وأنت الأستاذ في صناعتها؟

ضربه نادر في صدره بقدمه بقوة أذهلت شهاب نفسه. إذ ألقته على

ظهره إلى جوار ياسر ثم صاح بغضب:

- من أذن لك بالكلام أيها الحشرة؟

دفعه شبيه شهاب برفق في صدره قائلاً بنفس صوت شهاب ولكن لهجة جشع وشراسة:

- اهدأ يا فتى . هكذا سأغضب عليك كيف تسمح لنفسك بإهانة طعامي هكذا.

اتسعت عيون منال بذعر وانحبست الأنفاس في صدرها. فابتسم شبيه شهاب قائلاً ساخراً:

- لا تفرعي يا صغيرتي جميعكم طعامي. لكن شهاب هو البداية لوعْدٍ وعدته إياه في لقائنا الأول. هل تذكر يا طعامي اللذيذ؟

قال شهاب بمرارة ودمعة تفر من إحدى عينيه:

- يالي من غبي! كيف لم أنتبه لهذا؟ انتقلت لهدير ثم إلي ثم منال، ومنها إنتقلت لنادر واجتمع شركما سويًا فتحالفتما وخرجت منه للتربة كي تخرج في صورتني وتتمكن من قتل هاني. كان يجب أن أفهم وأحذر هاني.

قال ياسر باضطراب:

- لن تنجح لن تستطيع خداع هاني.

بكت منال بحرقة وهي تتراجع مرتجفة زاحفة على جانبها وظهرها ببطء وصعوبة. رفع شهاب قدميه المقيدتين ودفع برأسه وعنقه وعضلات بطنه جسمه لأعلى ليعتدل واقفاً بينهما موجهاً ضربة برأسه إلى رأس سام الذي تفادها وهو بكل قوته بقبضته على مؤخرة عنق شهاب ليسقط على وجهه فاقد الوعي.

ارتفع صوت بكاء منال حتى صار صراخا. فهوى نادر على صدرها
بقدمه صائحا:

- اصمتي أيتها الخائنة . لا أريد أن أسمع صوتك هذا. لولا أن سام
يريدك طازجة لمزقتك إربا الآن.

قال ياسر بصوت حاول جعله ثابتا لكنه خرج رغما عنه متوترا
مضطربا:

- هل تظنان أنكما ستتجحان. لن

قاطعته سام وهو يشير لفرسان المملكة بإخراج شهاب :

- ومن سيمنعنا أيها المتحذلق؟ القصة على وشك الانتهاء. ما بقي
فيها إلا لمسات خفيفة.

تطلع نادر إليه بشماتة قائلا:

- بما ستنفك صداقتك بهاني الآن أيها المخلص الوفي؟ أريد أن
أرى.

قالها وغادرا الحجرة وأغلق الباب فقالت منال برعب وبكاء:

- هل حقا سيأكل شهاب ؟ هل

توقفت عن الكلام. توقفت رئيتها عن الانقباض والانبساط. توقفت قلبها
عن النبض. عندما سمعت صوت ارتطام جسم شهاب على منضدة
معدنية. ثم صرخات ألم من في شهاب رهيبة مع جلبة جسد ينتفض
على منضدة معدنية كأنه يُذبح. ثم الصمت. ثم صوت سام الشبيه
بشهاب يصيح في أحد الرجال:

أريد هذه القطعة مطهوة جيدا بعد ساعة واحدة في غرفتي. إنني أتضور
جوعا.

أتاها صوت الرجل مذعورا:

- أمرك ياسيدي .

دخل نادر وسام غرفة جانبية وأغلقاها خلفهما ونادر يقول ضاحكا:

- أتمنى أن أرى وجهيهما الآن . كم سيكون مقدار الرعب عليه.

جلس سام على مقعد وثير قائلا:

- يمكنك أن تتخيل. وستراه لا تتعجل. أنت الآن تطهو الرعب في

قلبيهما دعه حتى يستوي. ثم املا عينيك منه.

قال نادر بوحشية:

- أنت حقا أستاذ. أتمنى أن أرى هذا في هاني.

استرخى سام في مقعده بعد أن أزاح شعره بيسراه إلى خلف رأسه
مغمضا عينيه:

- تخيل وجهه أولا عندما يرى شهاب يقتل هدير أمام عينيه ثم يقتله

هو بيديه وهو يظنه أنا ثم يكتشف الحقيقة بعد أن

قال نادر بسعادة غامرة وحماس بالغ:

- يكفي. يكفي. سأموت طربا. أريد أن أرى هذا حقيقة.

تحسس موضع ذراعه اليمنى التي بترت وتغطي كتفه الضمادات الطبية
متابعا بشغف:

- المهم الآن أن ينتهي طبيبك من زرع الذراع لشهاب فأحتاج

لتعافيه السريع حتى أتمرن على التحكم في جسده وهو مخدر حتى

لا يقاومني كالمرة السابقة. فلا بد أن أنتقل للجزء الثاني حيث

هدير والتحكم في جسدها قبل يوم الحسم.

الطبيب قال سيحتاج خمسة عشر يوما على الأقل.

- دعك منه . إن المعجون الذي استخلصته من أوراق الزهرة التي نشأت تحتها في حديقة بيتك كفيلا باختصارها ليومين اثنين. هل تتناول طعامك معي.

نهض نادر وهو يقول بامتعاض:

- لا يا سيدي. لم أجرب اللحم البشري بعد.

ابتسم سام بهدوء قائلا:

- جرب بعضه. ولن تستسيغ غيره بعدها.

انصرف نادر قائلا:

- ربما عندما نذبح منال أفكر في هذا.



أشار وكيل النيابة لهاني بالجلوس بعد أن نزع الجندي قيوده المعدنية قائلا:

- تفضل بالجلوس يا أستاذ هاني.

جلس هاني قائلا بامتنان كبير :

- أشكرك كثيرا يا سيدي.

صمت لفترة يطالع بعض الأوراق أمامه قبل أن يقول:

- وصلني أنك دفعت لزوجتي البلطجي القتل مبلغ يساوي دية قتل. في حين لم يحكم عليك أحد بذلك.

قال هاني بأسف:

- لعل الله يغفر لي ذنب قتله.
- معنى هذا أنك تعمدت قتله.

رفع هاني له عينين أسفتين قائلاً بأسى:

- كلا. لقد أردت إصابة ذراعه التي تمسك بسيدتي. ذنبي أنني انسقت خلف مشاعري ولم أحسب تبعات الموقف.

مال وكيل النيابة إلى الأمام معتمدا بمرفقيه على مكتبه قائلاً :

- والآخر الذي أصيب بشلل. لماذا أنفقت على إجراء جراحته وعلاجه حتى شُفي.
- عائلتهما ليس لهما ذنب في جرمهما . وأنا أشعر بالذنب نحوهما.
- أليس لك رغبة أخرى كالتأثير على البقية لتغيير شهادتهم ضدك.

ابتسم هاني ابتسامة خفيفة قائلاً:

- وما يضمن لي. ثم إنهم لما علموا بما فعلت جاءوني فعلاً، وعرضوا علي أن أعطيهم مثل ما سيعطيهم نادر ويغيروا شهادتهم لصالحى. ولكنى رفضت. أنا لا أسعى إلا لإرضاء ربي وهو كفيل بإثبات براءتي.

استرخى وكيل النيابة وصمت طويلاً مفكراً قبل أن يقول :

- ورغم هذا جاءوا واعترفوا بالحقيقة . ولهذا قررنا إخلاء سبيلك. وسنصدر قراراً باستدعاء نادر عبد الله للتحقيق معه.
- ولماذا استدعاء وليس القبض عليه.

صمت وكيل النيابة لبرهة يتطلع فيها لهاني ثم قال:

- اتهامهم ليس دليلاً كافياً. نحتاج شهادة أخرى ضده.

صمت هاني لحظات مطرقاً للأرض قبل أن يقول:

- لقد شهدت منال ضده ولكن العقيد مختار غير أقوالها بعد أن تولى القضية بعد الرائد مجدي.
- لا يوجد دليل على ذلك. خاصة بعد هرب شهاب ومنال من الشرطة أثناء ترحيلهما.

دوى صوت طرقات غاضبة على الباب جعلت وكيل النيابة يعقد حاجبيه بغضب وخاصة أن الباب فتح وولجه رجل ما رآه حتى هب واقفا مرحبا بالوافد، وقد لانت ملامحه . لقد كان والد ياسر. تقدم بخطوات واسعة وعيناه مثبتتان على هاني . صاح في وجهه بغضب:

- أنت هاني عامر؟

تفحصه هاني بدهشة وشيء من خوف قائلا:

- نعم يا سيدي.

صاح بثورة:

- أين ياسر؟

تعرفه هاني بمجرد ذكر اسم ياسر لتقارب الملامح فقال بحيرة:

- كيف أعرف يا سيدي؟ لقد كنت مسد.....

قبض على يائتي قميصه وجذبه بعنف هاتفا:

- ومن غيرك يعرف؟ لقد كان يدافع عن عائلتك. ترك زوجته

العروس وأعماله وكل دنياه وانطلق خلفك كعبد يلبي حاجات

سيده. دافع عنهم ثم خرج من المملكة عائدا . ولم يصل حتى الآن

منذ أسبوع كامل. فقط سيارته فارغة في منتصف الطريق. أريد

أن أعرف أين هو .

قال هاني بتفكير عميق وغضب أعمق:

- اعطني هاتفك يا سيدي لو سمحت .

تركه والد ياسر وألقى المحمول على صدره إتقطه هاني وضرب رقم عماد بسرعة وما أن أجابه حتى صاح:

- أين أنت يا عماد... جيد . أريد أن تراجع سجلاتك بسرعة أقصى سرعة . اعرف لي هل يوجد شقق أو فيلل باسم نادر. غير اللتي يعيش فيها.

أجابه بالنفي فقال هاني بصرامة وجدية :

- أريد عناوين كل المباني الخالية من السكان تماما مرتبة من الأقرب لمنطقة الإنشاءات الجديدة فالأبعد في أسرع وقت. اتصل علي على هذا الرقم .

أغلق الخط واتصل برقم آخر هاتفيا:

- أين أنت يا ناصر؟ دعك من منزل رحمة الآن وانطلق بأقصى سرعة إلى منطقة الإنشاءات الجديدة بأقصى سرعة. حياة ياسر تتوقف على سرعتك .

أغلق الخط وهو يقول:

- اطمئن ياسيدي ياسر أخي. ولن أدع أي كائن يصيبه بمكروه.

رفع سبابته محذرا:

- لو لم تأتني بخبر جيد عن ابني الآن، لن تغادر هذا المكتب حيا.



جلس نادر على مكتب والده نافخا صدره بعظمة. لقد صار قاب قوسين أو أدنى من نصره. قدم شهادة وفاة والده إلى وحيد الجالس أمام المكتب قائلا:

- ها هي شهادة الوفاة متى تنتهي من إعلان الوراثة؟
قال وحيد بصوته الأشبه بفحيح أفعى:
- كيف استخرجتها وقد سرقت بقايا الجثة من المعمل الجنائي؟
نهض نادر واقفا وهو يقول:
- ليس هذا عملك. انه الإجراءات.
فتح وحيد حقيبته وأخرج منها ورقة وضعها على المكتب قائلا:
- وقع هذه.
- وما هذه؟
- المقابل. عقد بيع بخمسة أسهم . ولا تنس أني معي عقود بيع
سليمة من عبدالله لهاني بالأسهم كاملة. أدمرها وأنها إجراءات
الوراثة لصالحك مقابل خمسة أسهم فقط. رأييت؟ لست جشعا.
وقع نادر العقود وبركان غضب يهتف في صدره :
- سيأتي دورك يا أستاذ وحيد.
تركه يجمع أوراقه وانصرف قائلا ببغض:
- لدي موعد. اجمع أوراقك على راحتك.
غادر مسرعا إلى حيث شقة سام حيث ياسر ومنال. لقد رحل سام بعد
أن تمرن بقدر كاف على التحكم في جسد شهاب. رحل إلى بيت رحمة
حيث يؤدي دور شهاب ويتمرن على التحكم في جسم هدير. وما دام قد
رحل أتى دوره ليلعب بمنال وياسر قليلا. وصل إلى المبنى وصعد عدوا
غير مبال بالحرس الذين وضعهم لحراسة المبنى . كان شوقه لرؤيتهما
يطغى على كل حواسه.

وكم انتفخ صدره فرحا وسرورا عندما فتح باب حجرتها وراهما ملقيان وقد هذلا ونحلا وتلاشت كل حيوية من جسديهما. تنبعث منهما رائحة عرق وبول مع كراحتها كانت من أجمل الروائح في صدره . إنها رائحة زلهما. ركل ياسر في صدره ساخرا:

- من يراك الآن لا يراك في فيلا رحمة. أين لسانك وقوتك.

حاول ياسر أن يقول شيئا ولم يقو. استدار إلى منال ضاحكا بسخرية:

- كيف حال سكيرتيرتي الوفية؟

أشار لرجاله أن يحملوها إلى المنضدة في الصالة وقال لياسر:

- لماذا لم تأكل؟ لحم شهاب لم يعجبك؟

انحنى عليه هامسا:

- بعد قليل سأرسل لك قطعة لحم من منال ربما تروقك.

بذل ياسر قصارى جهده ليرفع قدميه المقيدتين ليضرب بهما نادر في أحد ساقيه ويطرحة أرضا. فوثب حارسيه شاهري سيفيهما في وجهه. استوقفهما نادر ضاحكا :

- دعاه لم يأت دوره بعد .

قالها وهو ينهض مغادرا الحجرة لتتغلق خلفه بالمفتاح. إتقط سكيينا من أحد رجاله واقترب من منال التي راحت تبكي وترتجف ارتجافات تشنج تهتز لها المنضدة المعدنية. وصوتها يمزق القلوب الرحيمة. وضع نصل السكين على وجنتها قائلا:

- هل تريدان أن أذبح أولا أم أمزق قطعة لحم منك وأنت حية وأطهوها وأتناولها أمامك؟

وضع نصل السكين على عنقها كأنه سيدبحها ودموعها تنهمر ببكاء مكتوم وارتجاف مصعوق بالكهرباء وقال بنشوة وحشية:

- أنا أفضل الثانية. حرك النصل إلى صدرها. وضغط عليه لتخترق ذبابة السكين ملابسها وجلدها لتصرخ بألم وهو يحركه ليصنع جرحا غائرا . حاولت أن تدفع جسمها بعيدا ولكن أحد الرجال أمسك كتفيها بقوة.

هب ياسر لصراخها فزعا رغم ضعفه . وثب مرتطما بالباب بكتفه صارخا بغضب. فازدادت ضحكات نادر وحشية . وبلغت به نشوته حد الجنون. نقل ذبابة السكين إلى بطنها قائلا:

- لا أميل لأكل الصدور كثيرا. لماذا لا نجرب البطن. أحب الكبد.

ضغط وسحب ليشق نصل السكين بطنها فارتفع صراخها وانتفاضاها يرج المنضدة رجا وكأنها غاضبة لها. وياسر يصرخ و يضرب الباب بقدميه تارة وبرأسه تارة وبكتفه أخرى ونادر يواصل ببرود وحشي:

- وأنا أحب مذاقه.

واصل ياسر كالمجنون ضربه في الباب وصراخه. وواصلت منال انتفاضاتها وصرخات الألم والرعب وقد صارت ملابسها كلها ماء من عرق وبول والدماء تتدفق من جرحي صدرها وبطنها . انتزع نادر سكينه وهو يضغط على ركبته لتكف عن الانتفاض ثم وضع نصل السكين على فخذاها وحركه صعودا وهبوطا وهو يقول بجنون واستمتاع:

- لا لا . أرجح أن أبدأ بالفخذ . فهذا يطيل من عمرك حتى تشاهديني وأنا أتناول لحمك.

قالها وصاح بثورة :

- أوقفوا هذا الحيوان. إنه يفسد متعتي.

انطلق رجلان إلى حجرة ياسر في حين ضغط هو على السكين محركا إياه على فخذها ليشق بنطالها ولحمها وهي تصدر أعلى وأعنف صرخاتها. الرعب صار كيانا حجب كل مشاعرها حتى الألم. لم تكن تشعر حقيقة بألم شق السكين للحمها كشعورها بالرعب. كأنها في كابوس لم تعد حتى تستبين الوجوه أو الرؤيا. أو حتى تميز الأصوات كأنها مشلولة بين يدي وحش ينهش لحمها. وفجأة توقف نادر. ونزع سكينه من فخذها :

- اقتلوه . هو الذي تعجل موته.

نظرت بعيون دامعة مرتجفة ذاهلة مشوشة الرؤية ياسر يهب واقفا وثلاثة فرسان ينقضون عليه بسيوفهم. تفادى ضربة من أولهم على عنقه ووثب برأسه في وجهه. ثم هبط جالسا القرفصاء. هوى الثاني بسيفه على رأسه فوثب عاليا دافعا جسمه للخلف مباعدا بين ركبتيه ليمر السيف من بينهما فيمزق قيده مع جرح غائر من ساقه اليسرى. ظلت منال بنفس وضعها على المنضدة لا تقوى إلا على الارتجاج والبكاء. ومراقبة ما يحدث بروية مشوشة .

سقط ياسر لضعفه لم تقوَ ساقاه على حمله. تدرج لیتفادی سيف الثالث. فتح عينيه في ركن الصالة والسيفان يرتفعان في الهواء ليهويان على رأسه. دوت صرخة قتالية صمت الأذان تلاها صوت فرقعة قوية لتهشم باب حجرة سام ليجتازه شهاب واثبا إلى الصالة. إلتفتت إليه كل العيون بفرع ودار هو بعينه بينهم بسرعة خاطفة . لم تستطع منال استيعاب ما يحدث انتعاش أمل في صدرها أفاض المزيد من الدموع في عينيها فاستحالت الرؤية. صرخات رعب من أفواه الرجال . صرخات قتالية مرعبة من شهاب . ارتطام أجسام بمنضدتها

ثم سقوطها أرضاً. ثم..... يد قوية تساعد على النهوض فتحت
عينها لترى وجهه يبتسم بحنان قائلاً:

- اهْدأِي يَا مَنَال . لَنْ يُوْذِيكِي أَحَدٌ بَعْدَ الْيَوْمِ . لَقَدْ وَعَدْتِكِ مِنْ قَبْلِ وَلَنْ
أُخْذِكَ أَبَدًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

هدأت بين يديه قليلاً وإن ظلت ترتجف وتبكي. حرر يديها وقدميها
بسكين نادر ثم اعتدل قائماً ومسح على شعرها قائلاً:

- لَا تَخَافِي يَا عَزِيزَتِي

توقف وانقبضت عضلاته واستدار بضربة من قبضته لشخص خلفه
وهي ترفع له عينين فزعتين. تفادى نادر الضربة واثبا للخلف. أعطاهما
السكين وهو ينتزع المحقن من ظهره بيده الأخرى وقال لها وهو ينظر
ليده بالمحقن بدهشة:

- حَرَرِي يَدِي يَاسِرٍ وَارْحَلَا بِسُرْعَةٍ . مَنَالُ أَمَانَةٌ مَعَكَ يَا يَاسِرَ .

تطلع ليمناه التي تمسك بالمحقن بذهول. منذ متى وله يد يمنى. ألم
الجراحة في كتفه. ما الذي حدث رفع عينيه لنادر الذي التقط سيفاً
واعتدل يواجهه.

نهض ياسر مذهولاً حائراً. الذي أنقذه هو شهاب أم سام. شهاب بذراع
واحدة وسام لن يدافع عنهما. لم يفكر طويلاً جذب يد منال وطوق عنقه
بذراعها وطوق خصرها بذراعه ليساعدها على السير ونزل مسرعاً
بالقدر الذي يسمح به وهنه. لم يلحظ كم طابقا نزل. آلام جسمه وحمل
منال على ضعفه وخوفه من السقوط أقوى من أن يفكر في شيء غير
الخروج.

وصل أخيراً إلى بوابة المبنى . الضوء، الأمل، ال.....

تلاشى بصيص الأمل حجبته عدة فرسان زرق أو سود لم يعد واضحا أو مهما. سقط هو ومنال أرضا وأشباح بسيوف تقترب. وصوت من بئر سحيق:

- كيف هربا من زملاؤنا بالأعلى.

ظل جديد اقترب من خلفهم. صوت مألوف:

- نعم وصلت للهدف إني أراه ولكن يوجد أشرار.... لا لا ... لا حاجة للشرطة. أنا كفيل بهم.

استدار الرجال للصوت وقالوا وقال واختلط الكلام في أذنيه والأشباح. أغمض عينيه بإعياء شديد.

انتبه ليد قويه تحمله . فتح عينيه ليجد صاحب الصوت المألوف يحمله بذراع ومنال بالأخرى ويعدو في شارع.

أغمض عينيه من جديد يريد أن يخبره عن شهاب سمع صوته يتكلم من جديد وهو يلتهث:

- لقد وجدت ياسر وفتاة أخرى كان يحاول الهرب بها.
أسلمهما للدكتور إبراهيم.... وأين أجده؟

أجابه هاني وعيون والد ياسر تود لو تخترق الهاتف:

- هو سيجدك. لقد أعطيته عنوانك. سيكون عندك خلال دقيقة واحدة.

- لقد وصل بالفعل.

- هل تعرف الفتاة؟

- لا أعرفها. لم أرها من قبل.

- بعد أن يغادر إبراهيم عد حيث كانا واقبض على كل من تجده وقيده حتى تصل الشرطة.

أغلق الخط ونظر لوالد ياسر قائلاً بارتياح:

- الحمد لله يا سيدي إنه بخير. ولكن أفضّل أن ترسل طائرة صغيرة إلى مستشفى المملكة لتحضره. ليس آمنة بقاؤه هناك.

كانت نظرات الأب مليئة بالغضب وهو يقول:

- إياك أن تقترب من ياسر مرة أخرى. لن أحذرك مجدداً.

تناول الهاتف وأمر شخصاً ما بتنفيذ طلب هاني في حين قال وكيل النيابة موجهاً حديثه لهاني:

- أريد التفاصيل كاملة يا أستاذ هاني لو سمحت قبل إجراءات الإفراج عنك.

قال هاني بتفكير عميق وكأنه يحدث نفسه:

- من هذه؟ من تلك التي كانت مخطوفة مع ياسر؟

صمت يفكر لبرهة قطعها وكيل النيابة:

- ربما تكون منال سكرتيرة نادر.

تطلع هاني إليه بتعجب متسائلاً:

- وأين شهاب؟ من المفترض أن يكون معهما.

ثم أغمض عينيه بمرارة قائلاً:

- أين شهاب؟ لقد وج.....

قاطعته رنين هاتف والد ياسر فوثب هاني نحوه هاتفاً:

- هل هو لي؟

ناولته الهاتف بضيق فضغط زر قبول الاتصال وهو يضعه على أذنه
هاتفًا بفرع:

- ماذا وجدت؟

أجابته ناصر بفرع واشمئزاز:

- جميع فرسان المملكة الذين أفقدتهم الوعي وجدتهم قتلى. وفي
الطابق الثالث وجدت مثلهم.

هتف هاني بلهفة وقلق:

- وشهاب ألم تجده؟

- كلا. لا أحد آخر.



(9). الفصل الأخير

جلست هدير على مكتبها تواصل مذاكرتها وقد انتصف الليل. وخارت
مقاومتها للنوم وآلمتها عظام ظهرها. أعادت ظهرها إلى ظهر مقعدها
قائلة بإرهاق وهي تتمطى:

- لقد حان وقت النوم. لم أعد أستطيع المواصلة.

كانت منار جالسة على الفراش وقد ركنت ظهرها إلى الوسادة في وضع
وسط بين الجلوس والرقود. وكتابها على صدرها. فقالت لها هدير:

فيما أنت شاردة يا حبيبتي ، وقد تركتي مذاكرتك؟

أغلقت منار الكتاب ووضعتة على الكومودينو المجاور للفراش وهي تقول:

- يبدو لي شهاب مختلفا بعض الشيء . شيء ما في نظراته لا يريحني.

نهضت هدير من خلف المكتب وهي تقول بنعاس:

- أمر طبيعي . لقد قام مجهولون بخطفه هو وهذه الفتاة منال من سيارة الشرطة. وعذبوهما في قلب الصحراء ثم قتلوها أمام عينيه ودفنوه حيا. وبعد أن تمكن من الخروج من تحت الرمال واجتاز الصحراء ووصل إلى هنا بحالته المزرية التي رأيناها عليها. كل هذا وتتوقعين أنه بمجرد أن يغتسل و تُصمِّد جراحه ويرتدي ملابس جديدة سيعود كما كان دون اختلاف؟

استرخت منار في فراشها راقدة على ظهرها وهي تقول:

- أنت محقة يا هدير. كان الله في عونك.

استلقت هدير على الفراش المجاور لفراش منار. وما أن وضعت رأسها على الوسادة حتى سألتها منار وهي تعتلد على جانبها الأيسر لتواجه هدير:

- ما رأيك ؟ هل من الممكن أن يكون شهاب أحب تلك الفتاة؟ ويكون تغيره بسبب حزنه عليها؟

اعتدل هدير على جانبها الأيمن بدورها :

- ربما نعم ، وربما لا.

قالت منار باستنكار:

- ولكنه لم يعرفها لفترة طويلة.

بدأ النعاس يسعى لغلغ عيني هدير وهي تقول:

- ولكنها أنقذت حياته. وظل في بيتها حتى شُفي ثم عاد. وهذا القرب قد يولد حبًا.

صمتت منار لبرهة قبل أن تقول:

- الحب لا يأتي بقرب أو بعد . الحب قدر.

أغمضت هدير عينيها وهي تقول بصوت غلبه النعاس:

- أتفق معي . ولكن هذا لا يمنع أنه أحبها قد يكون ذلك قدره.

استنكرت منار كلامها فقالت بضيق:

- ربما.

قالت هدير دون أن تفتح عينيها و قد راح النوم يجذبها إلى بئر السحيفة:

- الحب رزق. لا ندري متى يأتي. ولا نملك أن نسعى إليه. ومن يسعى إليه لن يجني غير أشواك وصخور صماء لا فائدة فيها وجراح قد لا تندمل . أو هام تلقي به في أحزان.

صمتت لحظات ثم فتحت عينيها قائلة بابتسامة ماكرة:

- ثم ما يهمك إن كان شهاب أحبها أم لم يحبها؟

ثم ابتسمت وهي تقول:

- هل أزعجتك؟

كان الضيق واضحاً في ملامح منار وصوتها وهي تقول:

- ولماذا تزعجيني؟ الموضوع برمته لا يخصني. يحبها يكرهها ليس هذا شأني.

- حقا؟!!

ولتتها منار ظهرها مستديرة للجهة الأخرى وهي تقول:

- حقا .

أغمضت هدير عينيها واستسلمت للنوم وهي تستعيد صورة بدر في قلبها وتعود بذكرها لتلك اللحظات التي قضتها معه وهو ما يزال زهرة. وأحلامها به وعندما مات أمامها . ثم اللحظة الأخيرة حين أخبرها هاني أن بدر حي . وأنه انتقل إلى هاني عندما قتله سام . وهو الآن يبدأ رحلة إنبات جديدة في حديقة بيتهم الجديد في المملكة. ووعدها أن يوم زفافه بوالدتها سيكون زفافها على بدر. وهو يحتاجها الآن لترعاه كما فعلت سابقا.

تسلل سام الذي ينتحل شخصية شهاب عقلها عندما غاصت في نومها. وتسلل إلى خلايا الذاكرة. وراح يقلب فيها صورا وكلمات يطالع كل ما مر بها منذ غادر جسدها. وتوصل لكل ما يحتاجه. ينقصه تحديد مكان بدر فقط وهي لا تعرفه. ولكن قريبا سيحدث.

بدأ بالتحكم في هدير . فتح عينيها . حرك أصابع يديها وقدميها . ثم أنهضها جالسة وراح يقلب عينيها في جميع أنحاء الحجرة ثم إلى منار ليتأكد من نومها . ثم خرج بها متسللة إلى الحديقة ليبدأ تدريبه.



تلألأت مدينة المملكة ببريقها الأزرق السماوي في اليوم الأول من إبريل تحت وهج شمس ساطعة في سماء صافية تزينها سحب تتهادى مستمتعة بذلك الطقس الربيعي الهادئ. بدت المملكة من بعيد كتاج من الماس السماوي اللون. بأسوارها العالية أثرية الشكل، تعلو خلفها الأشجار الخضراء العالية في نطاق دائري من خلفه قمم نطاق الفيصل

الأشبه بالقصور العالية. ثم المباني الرخامية اللامعة شاهقة الارتفاع متساوية . ويعلو فوق كل هذا برج مبنى إدارة المملكة في المركز حاملا علم مصر خفاقا.

شهدت المملكة في ذلك اليوم زحاما لم تشهده منذ وضع أول حجر فيها. اليوم هو يوم افتتاح المملكة . حفل ضخم وفد إليه آلاف مؤلفة غير سكانها الأصليين لحضوره .

وبينما تستعد الشمس للرحيل تبدأ أولى فقرات الحفل. ويخفق قلب رحمة بشوق لحبيبها الذي غاب . ارتدت ملابسها وهي في معزل عن العالم حولها تستمع لهمسات تنتظر أن تسمعها. وترنو إلى بسمات ترجو الطواف في بساتينها. خرجت من حجرتها لا تشعر بخطواتها كأنها تحلق بجناحين فوق سحب سعادتها. ارتفعت العيون إليها وهي تتهادى هابطة السلم في انبهار غير مصدق . بدى لهم وجهها وكأنه بدر تمام وردي يشرق بهاءً وجمالاً.

قالت منار كالمسحورة:

- يا إلهي. من أين تأتيين بهذا الجمال.

احمر وجه رحمة حياءً. فازداد جمالا فوق جمال:

ولأول مرة تنسى أم هاني عمر رحمة . لقد ذاب هذا الحاجز مع إشراق وجهها. فشعرت أخيرا بالرضا التام. فأقبلت عليها تحتضنها قائلة:

- أهلا بعروسنا الجميلة . كل هذا لأمل اللقاء. فماذا بعده؟

انسابت دموع رحمة على صدر والدة هاني. أخيرا تحررت من آخر قيودها. انقضت عدتها. وأصبحت قاب قوسين أو أدنى من حلمها أن تحيي من جديد.

قالت هدير بمرح وإن غلب على صوتها الإشفاق:

- سنظل هنا للأبد؟ ستبدأ مبارزة هاني بعد الغروب. أتريدان أن نفقدها.

أردفت منار وهما يتباعدان:

- شهاب والشيخ عمار وأخي علاء ينتظرون في الخارج.

طبعت أم هاني قبلة حانية على جبين رحمة ثم همست:

- تكفيني هذه السعادة في عينيك.

قالت هدير وهن يتوجهن للخارج:

- لقد خرج هاني من السجن منذ عدة أيام . فلماذا لم يقدم إلى هنا . أين ذهب؟

أجابتها منار :

- ليزيد من شوقنا إليه.

تسمعهم رحمة من عالم آخر لا يشغلها سوى وجه هاني . تحترق عيناها شوقا لتسبح في ملامحه . تغوص في عينيه . تحيا في أعماقه بعيد عن دنيا عانت فيها كثيرا وتحملت من الآلام ما جعل لأنفاسها مرارة لا تزول.

لم تنتبه من عالمها إلا في ميدان المملكة حيث مركز الاحتفال الذي أقيم فيه مسرح كبير لعرض فقرات الحفل.

وشاشات عرض سينمائية في جميع الأنحاء تعرض ما يدور هنا وهناك . وقعت عينيها على نادر وهو يقف إلى جدار حجرة خشبية صغيرة بجوار المسرح المستطيل الطويل يتكلم في الهاتف بغضب وعشرة من الشباب المحترفين في المبارزة يخرجون من الحجرة

صاعدين على المسرح وفي يد كل منهم سيفا براقا يضرب به الهواء في حركات استعراضية .

تطلعت إلى نادر بمقت نادر. ولو علمت ما يقول في الهاتف لما وسعها إلا أن تمزقه بأظافرهما. كان يصيح في محدثه:

- هل أنت واثق أنه لم يعبر من البوابة بعد؟

أجابه محدثه أن نعم . فقال:

- لا تنس أريد طلقتك النارية تصيبه بجرح غائر غير مميت. أتفهم.

أتاه صوت المتحدث في الميكروفون مخاطبا الجمهور:

- والآن مع أولى فقرات الحفل مبارزة استعراضية بين المتبارز نادر عبد الله والعشرة متبارزين. تليها أخرى بين المتبارز هاني عامر ونفس العشرة.

صعد نادر خشبة المسرح المعدة لتمثيل ملعب المبارزة بتوتر متطلعا إلى المتبارزين العشرة على ثم قال بتفكير مخاطبا نفسه :

- مستحيل ألا يكون قد دخل. فقرته ينبغي.....

اتخذ وضع الاستعداد بعد أن التقط سيفه من مكانه المخصص له بجانب الحلبة. ومع إشارة البدء انقض عليه العشرة في هجمات منظمة قد تم التدريب عليها مسبقا . همس في أذن قائدهم بعد انتهاء المبارز مؤكدا أن فقرة هاني ليست استعراضية يريد لها حقيقية مائة في المائة. ابتسم الشاب بثقة يشوبها بعض الملل مومنا برأسه إيجابا. فنادر لا يراه حتى يؤكد على ذلك. ترجل نادر عن خشبة المسرح مجففا عرقه. وهو يخرج هاتفه ويعاود الاتصال بحرس البوابة ثم قناصه ليتأكد أن هاني لم يمر بعد.

توقف عن الكلام بغتة . لقد خرج هاني من الحجرة على جانب المسرح وخطى على خشبته بثقة وخيلاء، وعلى شفثيه ابتسامة واسعة غير مباليا بالمتبارزين العشرة الذين توقفوا عن الاستعراض واتخذوا أوضاعا قتالية متحفزة متراجعين إلى الجانب الآخر . تأمله نادر بغيظ هاتفا في الهاتف:

- إنه هنا أيها الغبي. كيف تجاوزك أنت و رفاقك.
- أنا أقف هنا يا سيدي خلف البوابة الرئيسية . وهو لم يمر من هنا لا شك لدي.
- لا يهمني من أين مرَّ. المهم أنه هنا . أحضر رفاقك من حدود منطقة الإنشاءات الحديثة حيث يختبئون. توجهوا إلى مواقعكم الجديدة. الإصابة هذه المرة قاتلة في حال فوزه علي. لن أدعه يهنا بفوزه علي أبدا.

أغلق الهاتف ونظر لهاني الذي يمسك في يده مايكروفون يكلم به الجمهور بتمعن وسؤال يتردد في ذهنه هل يمكن أن يكون ياسر عاد بقناعه ليخدعه. نقل بصره للجمهور فصدمه وجه ياسر أمامه مباشرة مبتسما يقول ببرود زاد تأجج نيران غضبه:

- هل تبحث عني؟

كان قد استعاد صحته إلى حد ما. لم يجبه وانصرف من أمامه والسؤال يكاد يفجر رأسه، كيف تجاوز هاني رجاله ؟ أنصت إلى هاني يقول بمرح:

- ولا تقلقوا أبدا إذا رأيتم رؤوسا تطير ودماءً تسيل لقد أعدنا استعراضا ضخما بخدع متقنة سترونها كأنها حقيقة .

أشار هاني إلى الحجرة الأخرى على الجانب الآخر من المسرح متابعا:

- فحجرة التحكم في شاشات العرض هذه تحتوي بداخلها على أجهزة تكنولوجية حديثة تساعدنا في إحكام خدع عرضنا لإظهارها حقيقية فلا تفرعوا.

ألقي السماعة إلى المذيع وواجه المتبارزين العشرة متخذا وضعه القتالي.

أشار نادر إلى عادل مدرب هاني السابق وقائد رجال أمن المملكة حاليا فأسرع إليه. مال نادر على أذنه هامسا:

- راقب هاني جيدا . ستبارزه بعد الفرسان العشرة. لو هزمك لن تر ابنتك ألاء مرة أخرى .

بدى الألم مع المرارة والندم على وجه عادل وصوته وهو يقول:

- وكيف تثق في فوزه على العشرة فرسان ؟ هذا مستحيل.

قال نادر بتوتر ومقت:

- سيفوز عليهم. وإياك أن يفوز عليك.

تحول بانتباههما كله إلى المباراة التي بدأت . وكذلك الجميع. رحمة فقط كان انتباهها كله منصب على هاني. هل هو حقا هاني؟ في بحر من الحيرة . لا تستطيع أن تجزم بهذا أو ذاك. صوته حركاته خطواته كلها تقسم أنه هاني. قلبها يشعر أنه ليس هو.

كانت رحمة تجلس في الصف الأمامي أقرب الصفوف إلى المسرح بجوارها والدة هاني ومنار وابنتها هدير. إلى جوارهن علاء وعمار وشهاب . وفي نفس الصف يجلس بعض قيادات الجيش قاطني المملكة وأطقم حراستهم.

بينما كل من في المملكة تقريبا يتابعون المباراة العجيبة بين هاني والعشرة مبارزين بكل حواسهم مذهولين بمهارة هاني ومرونته التي تجاوزت حد التخيل وقوته وسرعة حركته، توقفت سيارة عبد الله والد نادر ومدير مجلس إدارة المملكة أمام بوابة المملكة فأسرع إليها أحد رجال الأمن بدهشة وضجر . فحتى هم يتابعون المباراة على شاشة كمبيوتر موصولة بنظام العرض. تراجع الرجل مصدوما عندما ترجل مستقلا السيارة. هب باقي الرجال حاملين أسلحتهم النارية في تحفز وأصابتهم نفس الدهشة. فمن السيارة ترجل هاني و عبد الله نفسه. أحاط بهما رجال الأمن شاهرين مدافعهم الآلية وقد أعدوها للإطلاق. تقدم قائدهم وكان برتبة ملازم أول وهو يقول بصرامة وحذر:

- من أنتما بالضبط؟

تقدم منه عبد الله قائلا بهدوء :

- أنا عبد الله مدير مجلس إدارة المملكة ألا تعرفني؟

وجه الملازم فوهة مدفعه إلى صدر عبد الله قائلا:

- كان من الممكن أن أصدقك لولى علمي بأن من تنتحل شخصيته قد لقي حتفه.

تحولت لهجة عبد الله للغضب وهو يقول:

- حقاً؟!!

ثم أردف صائحا بصرامة وغضب:

- راجع سجل الأمن عندك أيها الملازم كمال. وانظر آخر مغادرة لي للمملكة متى كان تاريخها؟

أشار الملازم كمال إلى أحد جنوده قائلا بشك متفحفا :

أحضر سجل أمن البوابة.

- إنه عبد الله ولا شك. أسلوبه ونظراته وكل ما فيه بالإضافة لمعرفة اسمه. ولكن كيف. تناول سجل الأمن وراجعه بسرعة وتأكد بالفعل من تاريخ آخر مغادرة . ثم راجع . ثم راجع. نفس النتيجة . إن عبد الله لم يكن في المملكة أثناء حادث تفجير منزله.

رفع بصره إلى عبد الله ليجد يده ممتدة بجواز سفره طالعه ليتأكد أنه لم يكن في مصر كلها .

خفض سلاحه قائلاً معترداً:

- آسف يا عبد الله بيك ولكن الكل هنا يعرف

قاطعته بغضب:

- وما وظيفتك أنت؟ كان ينبغي أن تدرك هذا وتبلغ به. وإلا فما فائدة سجلات الأمن؟ وما فائدة وجودك وطاقمك من الأساس؟

أشار كمال إلى رجاله أن يخفضوا أسلحتهم قائلاً:

- أكرر أسفي يا سيدي . خطأ أعدك ألا يتكرر أبداً. يمكنكما الدخول.

هتف عبد الله في غضب:

- وهذا خطأ آخر . ما خطبك أيها الملازم؟ ما هذا التهاون؟ كيف تسمح له بالدخول وهو في الداخل أصلاً. ألا يوحي إليك بأن أحدهما زائف؟

كاد الرجل يبكي من سوء موقفه وحيرته. ماذا يفعل وماذا يجيب؟ قال بارتباك متلعثماً:

- إنه معك يا سيدي فأكيد.....

توقف يزدرد لعابه بصعوبة . وتوقفت شاحنة كبيرة بجوار سيارة عبد الله فقال هاني بتوتر:

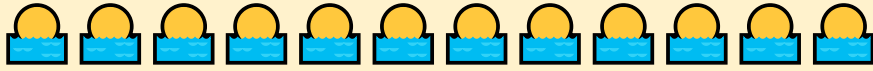
- آسف للمقاطعة يا عبد الله بيك. ولكن علي الدخول . فناصر علي وشك التغلب على مبارزيه في الجولة الأولى وعلي اللحاق به.

أشار له بالدخول قائلاً بصرامة:

- أسرع أنت وأنا سأتولى تغيير لوحة اسم المدينة وضبط إجراءات الأمن هنا . فيبدو أنها تحتاج وقفة .

قالها ورمق رجال الشرطة نظرة غاضبة .

استقل هاني السيارة وانطلق بها في حين أسرع العمال بإنزال اليافطة الجديدة التي تحمل الاسم الجديد للمملكة.



ارتفع تصفيق حار . وعلت صيحات الانبهار عندما سقط آخر متبارز أمامه. وقف يتصبب عرقاً هادئاً وكأنه أمر بسيط . الجميع ينظر إليه بانبهار إلا رحمة تنظر إليه بحيرة شديدة . لا تستطيع أن تجزم إذا كان هاني أم لا. صعد عادل إلى المسرح المستطيل كملعب لعبة المباراة بملامح جامدة . فنظر إليه ناصر بأسف قائلاً:

- تتحالف مع عدوي ضدي يا كابتن عادل؟

عقد عادل حاجبيه في صرامة دون أن يتفوه. واتخذ وضعاً قتالياً وهو يزيح أحد السيوف من أمام قدميه . والمعلق يعلن الاستعداد للجولة الثانية بين هاني ومدربه وأستاذه. اتخذ هاني وضعه القتالي شاهراً سيفه بدوره قائلاً بأسف:

- أعلم أن نادر اختطف الأء.

علت الدهشة ملامح عادل ثم عاد إليها التجهم والغضب وهو يرمق زوجته الباكية بين الناس. ثم عاد يواجه هاني والمعلق يطلق إشارة البدء . وبدأ عادل يهاجم هاني بمناوشات خفيفة والأخير يقول:

- طلب منك أن تجرحني جرحا عميقا . أليس كذلك؟

لم يجبه عادل إلا بإنقضاة مباغثة كان ممن الممكن أن يفلح فيها بإصابة أي متبارز مهما كان ماهرا إلا هاني. ولكنه كان واثق أنها سترهبه بل ستزلزل قلبه. وتهز قوته أمام الجمهور وقد يسقطه أرضا من سرعتها وشدتها . ولكن شيئا من هذا لم يحدث. فوجئ بنفسه يضرب الهواء ولا أثر لهاني لقد اختفى . هذا اللفظ أدق من تفادها بسرعة خاطفة . شعر بحنق شديد ورغبة عاتية في البكاء. إن هاني خلف ظهره تماما يواجهه بهدوء . لو أراد أن يجز عنقه لفعل. ولكن هاني قال بهدوء شديد؟

- ولكني أسامحك.

واجهه عادل بسرعة وهو يستطرد:

- فرغم أنني لم أتزوج بعد ، إلا أنني أقدر حب الأب لأبنائه.

انقض عادل بجام غضبه وانهاه بضربات أودعها كل مهاراته وسرعته وقوته . وغير الهواء لم يصب عادل شيئا. توقف ذاهلا لاهثا يتطلع إلى ناصر الهادي رغم عرقه. وصدرة الذي يعطو يهبط بسرعة. وعلى شفثيه ابتسامة هادئة حانية:

- لا تجهد نفسك يا معلمي . ولا تحتاج . ابنتك في أمان.

ازدادت دهشة عادل وهو يبحث عن مغزى عبارة هاني ولأول مرة قال من بين لهاته:

- وما أدراك؟

أشار ناصر إلى حيث زوجة عادل قائلاً بفرحة نصر:
- ها هي هناك في حضن أمها.

التفت عادل إلى حيث يشير ناصر بغير تصديق. وما أن رآه تهلت
أساريره وألقى سيفه وأقبل على ناصر يحتضنه ويقبله بامتنان قائلاً:
- لا أدري كيف أعتذر أو أشكرك يا هاني.

تركة ناصر لحظات ثم أبعدته برفق قائلاً:
- لا حاجة لهذا ولا ذاك.

تراجع عادل وأعلن استسلامه ثم وثب مغادراً حلبة الصراع إلى حيث
زوجته وابنته.

اشتعل نادر غضباً لمرآه هذا . ألقى نظرة أخيرة على قناصته في
مواضعهم . والمعلق يعلن فوز هاني بالجولة الثانية ويدعو نادراً
للجولة الأخيرة.

تحرك نادر نحو الحلبة بقلب مرتجف واجف. أسرع ناصر إلى الحجرة
الصغيرة بجوار المسرح . صعد نادر خشبة المسرح حلبة المبارزة
الخالية إلا من السيوف الملقاة التي أزدت من ارتجاف قلبه . لقد أمده
سام بقوة فائقة بأوراق زهرته. ومن خلال التمارين الشاقة في الفترة
الأخيرة . فهل يكفي هذا للتغلب على هاني. تأمل باب الحجرة التي
توارى فيها ناصر بوجل وتوتر وهو يستمع لكلمات المعلق المبهور
بهاني والذي يردد نفس السؤال الذي يتردد في صدر نادر . ترى من
الفائز.

تحرك قلبها فجأة فرد جناحية خفق محلقة يبحث عنه إنه هنا. لم يكن هنا
وقد صار هنا. تلفتت حولها في لهفة ثم تعلقت عيناها بباب الغرفة حيث
خرج هاني. تحسس نادر جيب سترته ليتأكد من وجود الصور التي

أحضرها وهو يراقب هاني يقترب . كيف تخلص من عرقه هكذا كيف أعاد ترتيب هندامه؟ لا يهم سيصعقه بتلك الصور أخرج نادر الصور وهو يقول ساخرا:

- هذه هدية بسيطة بمناسبة مبارزتنا هذه.

التقط هاني الصور وتطلع إليها ساخرا . لقد صور أماني وهي مكبلة ومعذبة حتى يستفزه ويعزف على أوتار قلبه. قهقه هاني متهكما:

- ما زلت تصر على إبراز غبائك. يا عزيزي ليس من الحكمة أن تضرب في نفس الموضوع مرتين. فخصمك سيتعلم كيف يواجهه.
- وكيف ستواجه هذا أيها الذكي؟

اتسعت ابتسامة الساخرة وهو يشير إلى حيث سام الذي ينتحل شخصية شهاب. حرق نادر بذهول في أماني بنظراته النارية تتطاير فيها حمم غضبه.

اختلط صوته بصوت المعلق الذي يعلن بداية المباراة:

- كيف تفعل هذا؟ لا أوجه لك ضربة إلا وجدتها في نحري. أخط هذا أم ذكاء؟

اتخذ هاني وضعه القتالي قائلا:

- لا هذا ولا ذاك . إنه فقط غياب منك. ودناءة خلق. لو اتبعت أسلوبك لفاجأتك الآن بما يصرعك. ولكني لست مثلك. سادع مفاجأتي للنهاية.

انقض نادر عليه بهجوم عنيف كان مفاجأة حقيقية لهاني. لقد كان يتفادى ويتلقى على سيفه بصعوبة شديدة . راح يتراجع أمام نادر مجبرا لا يجد ثغرة واحدة ولا حتى فرصة للهجوم فأوجس في نفسه خيفة . هذا ليس نادر حتما . هذا الذي يقاتل أكثر قوة ومهارة

ومرونة . فوجئ بنهاية المسرح خلفه مباشرة . استغل طعنة قاتلة من نادر بأن تفادها ودار حول محوره دافعا جسمه نحو نادر وتظاهر بالثبات والثقة قائلا:

- هون على نفسك يا رجل . لا تبدأ بكل هذه القوة . ذر بعضا للنهاية . ستحتاجها لجر أذيال الهزيمة .

وثب خلف نادر الذي يهتف بثورة ومقت:

- أما أنت فلن تحتاجها ستخرج من هنا محمولا إلى قبرك .

بدأ هاني بالهجوم هذه المرة . وكان الدهول من نصيبه هو . إن نادر يعلم جميع ضرباته ويتمتع بنفس مهارته في التفادي والدفاع . وهذا يعني بالتأكيد أنه سام أو أن سام بداخله . وإن كان هذا ما ينتظره إلا أنه ضاعف من خوفه . تمكن نادر من التحول من الدفاع إلى الهجوم بسرعة . قال هاني وهو يتراجع:

- تبغي قتلي ؟

وجّه نادر طعنة إلى قلبه هاتفا:

- من دواعي سروري .

تفادها هاني وتلقى أخرى وانحنى للخلف ليبتعد عن مرمى الثالثة وهو يقول:

- آسف ألا أحقق لك ذلك . فلدي بعض الوعود أريد أن أفي بها أولا .

وثب هاني عاليا مندفعا نحو نادر متفاديا طعنة إلى صدره فمر سيف نادر من بين فخذه . صُعِقَ نادر وسيف هاني يتجه إلى عنقه بسرعة عجز أن يتحرك إلا باندفاعه للخلف لم تغن عنه شيئا واخترق سيف

هاني كتف قميصه وانتزعه يسارا ليمزق كتف القميص مع انخفاض نادر المرعوب.

تعثر نادر مع اندفاعته غير المحسوبة للخلف. أمسكه هاني من كم قميصه ليمنعه من السقوط قائلاً بتهكم :

- مهلا يا صديقي. لم تنته الجولة بعد.

طعنه نادر بكل مقته وغضبه وهو لا يزال متعلقاً بكم قميصه .

تفادها هاني واثبا جانبا وجذب نادر من كم قميصه بكل قوته فتمزق من الكتف ودار نادر حول نفسه من شدة الجذبة واختل توازنه وهاني يواصل جذبه. حاول أن يحفظ توازنه حاول أن يطعن هاني حاول أن يفعل شيئاً ولكن كل شيء تعطل ودار بعشوائية وأخيراً سقط على وجهه . حاول أن ينهض وجد هاني جاثماً على ظهره يقيد يديه خلف ظهره بكم قميصه الممزق.

قلب نفسه متدحرجاً ليسقط هاني ويمنعه من تقييده وهب واقفا . ولكن بعد فوات الأوان . وقف نادر مقيد الذراعين خلف ظهره وذراع بلاكم وسط عاصفة من التصفيق والهتاف الحماسي . لقد هزمه هاني. رفع عينيه بكل مقته إلى القناص المتواري في نافذة أحد المباني المطلّة على الميدان متحفزاً بسلاحه مصوباً إياه نحو هاني وأوماً إليه أن أدّ مهمتك. ثم انتفض في زعر مع سماعه لصوت شامت يقول:

- لقد هزمك شر هزيمة مجدداً.

انتفض في زعر والتفت الى مصدر الصوت. إنه أبوه عبد الله الذي تابع من مكانه بين خشبة المسرح والصف الأول:

- ولأني كنت على يقين من هذا فقد انتهيت من بناء المسجد في موضع فيلتي بحمد الله.

تراجع نادر مذعورا وقد أجمته المفاجأة وعبد الله يكمل:
- و اليوم افتتاحه.

رفع نادر بصره إلى القناص من جديد . ليجد الرائد مجدي يقف في موضعه ويشير إليه شامتا.

صعدت هدير بسوادها لا يظهر منها إلا عينين يتطاير منهما الشرر إلى خشبة المسرح وساد الصمت وجميع العيون تراقبها في تساؤل.
واندفعت نحو هاني مع صرخة رحمة الفرعة الذاهلة باستنكار:

- هدير؟!!

نظر هاني إليها في شك وهي تندفع نحوه بكل سرعتها.

وثب شهاب فوق المسرح من الناحية الأخرى هاتفا:

- احترس يا هاني.

التفت إليه هاني بحيرة ونقل بصره بينه وهدير بحيرة لا يستطيع أن يخمن ما الذي يحدث. لماذا تندفع هدير نحوه؟ ولماذا يحذره منها شهاب ويحمل سيفاً ويندفع نحوه؟

أتاه صوت رحمة ملتاعا:

- احذر يا هاني إنه ليس شهاب.

ألقى هاني نظرة سريعة إلى حيث كان يجلس شهاب ليجده جالسا مغمض العينين معتمدا بمرفقيه على فخذه إلى جوار الشيخ عمار. أعاد بصره إلى الذي يقترب منه ليرى انبعاجا إلى جنبه حيث ذراعه المبتور.

تخيل الصورة الجديدة . الذي يتظاهر بإنقاذه هو سام يخفي ذراعه خلف ظهره متنكرا بهيئة شهاب كما تنكر بدر بهيئته. ويحاول تشتيته وإيهامه.

أعطى ظهره لهدير مواجهها شهاب الذي وثب نحوه بطعنة قاتلة نحو هدير.

وفي نفس اللحظة التي أزاح سيف شهاب فيها عن هدير اخترق خنجر في يد هدير كان متواريا تحت خمارها ظهره وغاص فيه حتى مقبضه. ابتعد عنها وهي تنتزع الخنجر من ظهره يتقطر دما والذهول يرسم ملامحه على ملامح هاني والحيرة تنهش عقله وقلبه بلا رحمة.

ما حقيقة الأمر؟ من فيهما يهاجمه ومن يدافع عنه؟ عاجله شهاب بضربة خاطفة تراجع هاني متفاديا ولكن ذبابة السيف شقت عضلات صدره تراجع مبتعدا بألم والدماء تسيل على صدره وظهره وقد فرض الصمت والفرع سيطرتهما الكاملة على كل الحضور والكل يتساءل أحقيقة هذا أم استعراض.

خلصت هدير نادر من قيوده واستعد الثلاثة لاقتناص هاني الجريح الذي دار سؤال جديد في عقله الذي تتلاعب به أمواج البحر الهائجة، لماذا لم يهب شهاب الحقيقي لنجدته؟ ألقى نظرة خاطفة عليه ليجده كما هو كما لو كان تمثالا من اللحم البشري. أعاد بصره إلى شهاب الذي يقترب منه شاهرا سيفه في عينيه شر مستطير وقد أخرج ذراعه اليمنى التي تظاهر بداية أنها مبتورة.

بدأ عقله يرسم الصورة من جديد. الجالس كتمثال مفكر مغمض العينين سام. وشهاب الذي يهاجمه الحقيقي وذراعه اليمنى خدعة لإيهامه أنه زائف فيقتله هاني بيديه. ولكنها تتحرك بشكل طبيعي. إنها ذراع حقيقية.

رأى عادل وياسر يحاولان الصعود إليه إلا أن رجال نادر منعاهما. أشار لهما بالتراجع وانقض على خصومه والألم والضعف يتسللان إلى حواسه وأطرافه. ولم يشعر بالخوف في حياته كما شعر به هذه اللحظة

يخشى على هدير وشهاب ومنهما. يهرب من ضرباتهما ويخاف إصابتهما و نادر لا يرحم . تمكن من إصابته ثلاث مرات بجراح شديدة في ظهره وذراعيه. وأخيرا وصل لهدفه شق قميص شهاب طوليا من ظهره. ركل هدير بكل قوته في بطنها ليسقطها خارج خشبة المسرح . غاص سيف نادر في كتفه وهو ينتزع قميص شهاب بكل قوته.

اختل توازنه وسقط أرضا وقد استحالت ملابسه البيضاء حمراء. وقد خارت قواه. و دُهِشَ نادر بريق الظفر في عيني هاني رغم حالته . لقد لمح هاني أثر للجراحة في كتف شهاب. وعلى الفور وجه رسالة عقلية إلى بدر الذي صار يحمل اسم ناصر توأم هاني الذي مات صغيرا. والذي يختفي في الحجرة الصغيرة بجوار المسرح. تسلل ناصر خارجا من الغرفة ودار حول الصف الاول إلى حيث سام الجالس في هيئة شهاب بجوار الشيخ عمار. في نفس الوقت كان نادر يشمت من هاني يعيره بهزيمته وهو يضع ذبابة سيفه على قلبه.

انتفض سام عندما قبض ناصر على رأسه بكلتا يديه كأنها كرة. ورفعها عاليا في الهواء ونواته ترسل موجات فوق صوتيه مدمرة لنواة سام الذي صار يرتجف كمصعوق بكهرباء. استدارت إليهما كل العيون في مزيج من الذهول والرعب وتحفز رجال الشرطة والجيش بأسلحتهم لقد بدأ الأمر يخرج عن إطار عرض مبارزة . ضغط نادر بسيفه على صدر هاني ليقتله قبل أن يفز ناصر بسام.

وأدرك ناصر هذا من عقل هاني. فكان عليه أن يختار . يقتل سام أم ينقذ هاني ؟

دار حول محوره ملقيا سام بكل قوته على نادر ليصطدم به ويسقطا قبيل أن يخترق السيف قلب هاني. هب سام واقفا في لمح البصر. ووثب على هاني وقد التقط سيفا . فوجد ناصر في وجهه.

دارت رأس هاني وتشوشت الرؤية . رأى بعينين زائغتين ناصر وسام يتبارزان مبارزة أسطورية. قاوم الآلام التي تتفجر في ظهره وصدره فتعصف برأسه . جر نفسه متحاملا على آلامه ليلتقط سيفاً وهو يرى عادل وياسر يعتليان حلبة القتال ويتحدان مع ناصر ضد سام ذو اليد الواحدة. ومع ذلك بدت المعركة غير متكافئة إطلاقاً . اجتاحهم سام كإعصار. حتى ناصر تلقى منه الضربات واحدة تلو الأخرى.

وعندما استوى هاني واقفا شاهرا سيفه. كان الثلاثة رقودا مدرجين في دمائهم وشهاب وهدير يقفان في نهاية حلبة المباراة كتمثالين .

التفت سام إلى عبد الله الذي يصرخ في نادر:

- لقد انتهت المباراة يا نادر . أوقف المبارزة.

نقل بصره إلى نادر المتحفظ في الجهة المقابل ثم هاني في المنتصف بينهما قائلاً بتهكم:

- هل توقعت أن تهزمني؟ هل تخيلت أن تتفوق علي؟ أشك أنك

توقعت ظهوري هنا أصلاً؟ أو ظهوري في صورة شهاب

وسيطرتي عليه هو وهدير؟

تقدم هاني نحوه بجرأة قائلاً بثبات؟

- الخطة الجيدة لا تعتمد فقط على الذكاء و الإحكام.

تقدم خطوة أخرى وهو يتابع:

- بل من أهم صفاته المرونة. أي التكيف مع كل ما يجد من

متغيرات.

تراجع سام للخلف مقهقهاً ثم قال ساخراً:

- تعترف بأنني تفوقت عليك وفاجأتك.

تقدم هاني قائلاً يكتم آلامه:

- بل أنا أتفوق . بل أن أفوز . أنا لا يهزمني نبات لا حول له ولا قوة.

أغمض سام عينيه عاقدا حاجبيه بشدة هاتفا:

- أرني ما الذي يمكنك فعله.

إصر كلماته فتح شهاب وهدير عيونهما وانتفض نادر استولت على الست عيون نظرة سام الشرسة الشيطانية . وانقض الثلاثة على هاني دفعة واحدة.

وثب هاني نحو هدير متفاديا سيفها قبل أن ينتزعه منها وهو يدور بها مبتعدا وألقاها من فوق حلبة المبارزة والآلام تعصف بجسده. انقض على نادر وشهاب وهو يصيح بأعلى صوته:

- شهاب ...

- هوى شهاب على صدره بطعنة . تفاداها وهو يتلقى أخرى من نادر واشتعلت مبارزة مبهرة بين الثلاثة . جعلت الجميع يراقبها مشدوها محبوس الأنفاس . خلالها تواصل هاني مع ناصر عقليا . إن الأخير يحتضر ولا بد من فعل شيء سريعا .

تظاهر هاني بالسقوط فوق جسده وأسقط سيف هدير من يسراه . واعتمد بها على صدر ناصر الذي تتفجر منه الدماء ليلتقط نواته مع الدماء التي التصقت بيده . وثب بين شهاب ونادر وهو يصرخ:

- شهاب لقد وعدتني ألا تتخلي عني. وعدتني أن تحميني. أين وعدك.

لم يبد على شهاب أي تأثير وهو يواصل انقضاضه على هاني بطعنات قاتلة . وهاني يستدرجهما مقتربا من سام ثم وثب نحو الأخير واضعا

الدماء على فمه . استوعب سام الأمر . حمل هاني بكل قوته طارحا إياه
على الأرض بدوي انخلعت له القلوب . ثم هوى بقدمه على صدر هاني
ليشق صوت تحطم أضلعه الأذان . ثم رفعها ليهوي بها على عنقه
ليسحقه . ولكن ناصر لم يمهلها بدأ غزوه الداخلي وانتفض جسد سام
وقد اجتاحتها موجات عنيفة ككهرباء قوية بثتها نواة ناصر . أطلقت
نواة سام موجاتها . وكانت أقوى وبدأ يستعيد ثباته و
هوى سيف شهاب على رأسه بضربة قوية زلزلت كيانه كله . وشهاب
يقول بتشفٍ:

- أشكرك على الذراع.

ومع ذهول سام ورعبه أته موجات ناصر كالصواعق .
وانفجرت نواته . انفجارا لم يشعر به إلا ناصر .



ضوضاء . صخب ومزاح وكأنه في بئر من البشر . بدأ يستعيد وعيه
تدرجيا وتضح معالم الأصوات . أمه وأخته والشيخ عمار . شهاب
وياسر وعادل وحتى علي . كل أحبته إلا هي بلسم جراحه ودواء روحه
وريحانة فؤاده . صوتها غير موجود وسط الأصوات .

ظل مغمض العينين ينصت إليهم يسمع عبد الله وهو يقول:

- لقد أخذ كل واحد ما يستحق .

أتاه صوت شهاب مرحا:

يا رب الأستاذ هاني يتوقف عن مناداتي بذئ الذراع الواحدة . ها قد

- صارت لي اثنتان .

لما عجزت أذنه عن التقاط صوتها . أرسل قلبه يبحث عنها . لقد تحرك
بنبضها إنها موجودة في نفس المكان. هذا النبض بين الضلوع
المكسورة مازال يشعر بها .

أتاه صوت هدير المرح:

- ألا يريد أبي أن يستيقظ؟ أريد أن

لم ينصت لباقي جملتها . يكفيه المرح في صوتها ليطمئن على أخيه
ناصر، إنه بخير.

استطاع قلبه أن يحدد موقعها وصوت الشيخ عمار يتردد في أذنيه:

- ولكن خبرني يا عبد الله بيك من صاحب فكرة تغيير اسم المدينة
من المملكة إلى الرحمة؟ أنت أم هاني؟

ضحك عبد الله قبل أن يقول:

- حقيقةً هاني هو الذي وضع التخطيط لكل شيء أنا كنت مستشارا
فقط وهو صاحب فكرة تغيير اسم المدينة. ولقد أسعدني لأن الاسم
القديم كان فكرة نادر كما أن اسم مدينة الرحمة ومسجد الرحمة
ومستشفى الرحمة أسماء جميلة لها معنى.

تخيل هاني وجه رحمة الفاتن وهو يزداد توردا حياءً فيزداد سحرا. فتح
عينيه موجهها بصره إلى حيث هي. ورآها . وخفق قلبه لمراها . أميرة
هي في فستان زفاف يغطي جسدها كله . تلاشى الوجود وكل موجود
وبقيت هي . رآها من وراء حجابها وكأنه ليس له وجود. دنا منها
بروحه ودنت منه بروحها وتلاقيا وتعانقت الأيدي في عالم آخر غير
منظور.

انتفض على وكزة في كتفه وصوت هدير:

- أنت يا أخ هاني . إلى أين ذهبت وتركتنا . يوم كامل في غيبوبة
وعندما تفيق تغوص في غيبوبة أخرى؟
فهقه الجميع وقال عبد الله من بين ضحكاته:
- لقد اجتمعنا لنحتفل بعقد قرانك على السيدة رحمة عمار.
نقل بينهم بصره بسعادة ألجمت لسانه عن النطق في حين نادى عبد الله
على المأذون .
تلقت هاني حوله وهو يسأل:
- أين نحن؟ وأين ناصر؟
دق جرس الباب فارتفع صوت علاء وهو يهرع نحوه:
- ها هو يا سيدي. ذكرنا القط جاء ينظ.
وقالت والدته وهي تميل نحوه:
- نحن في بيت رحمة يا حبيبي.
عقبت رحمة قائلة بسرعة من يصحح خطأ عظيماً:
- كلا إنه بيتك .
ثم انكشيت في مقعدها حياء.
صاح شهاب وهو يلوح بيمناه :
- لماذا تضيعون الوقت ؟ فلنعقد عليهما. لقد حضر الطعام وأنا
جوعان.
تعلقت عينا هاني بناصر وهو يدلف الحجرة حاملاً أكياس الطعام في يده
اليسرى الوحيدة. والضمادات تغطي رأسه . لقد استقر في جسم سام
الشبيه بشهاب. هتف ناصر بمرح بنفس صوت شهاب :

- وأنا أيضا كذلك .

قال المأذون وهو يقترب من فراش هاني:

- من ولي العروس؟

تقدم الشيخ عمار . وساد الصمت إلا من صوت المأذون وهاني والشيخ
عمار يرددان خلفه .

وما أن انتهوا حتى أقبل الرجال على هاني يلتهمونهم بالقبلات وكذلك
النساء على رحمة .

تمت بحمد الله

أبو هاني

رضا محمود

